

في الضوء...
تَسْتَبِينُ الْأَشْيَاءَ

عَدنان شبح الأرض



أول يولية ١٩٩٥

أدب
أدب
أدب

إشراقات أدبية

(نصف شهرية)

رئيس التحرير:

عبد العال الحماص

نائب رئيس التحرير:

محمود العزب

مدير التحرير:

أحمد الحوتى

الإخراج الفني:

محمد قطب

رئيس مجلس الإدارة :
د. سمير سرهان

تصدرت :
الهيئة المصرية العامة للكتاب
كورنيش النيل - ردة مولد - القاهرة

١٩٤

إشرافات

أدبية

قصص قصيرة

في الضوء وتستنير الأشياء

عدنان شيخ الأوض

دراسة

د. نعيم عطية



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٦

أهداء

الى روح التى امنت بكتاباتي وشجعتنى منذ طفولتى
الى رتل كبير عزيز من الأصدقاء وقف يؤازرنى .. بحماس
وبلا غرض
الى زوجتى التى تواصل تأييدها وتشجيعها ما بداته اُمى
أهدى اليهم بعض نتاج اغضالهم على .

تقديم

اعتنيت في حياتي بالنفس البشرية ... وينفوس مخلوقات
اخرى والا اتصادق مع الوجوه ... بقدر صداقتي واهتمامي
بنفوس اصحابها وتبينت على هذا الضوء .. ان النفس
بعيوبها وخبائياها .. قصورها ... وتقواها ... جوانب
تسترعى القاء الضوء عليها .

ولعلنا نعرف بعض انفسنا من خلال الآخرين .
..

الفجوة

شيء ما لا أدري كنهه سلبني النوم .. وأعادني لوعي
لا ارادة لي فيه منهك الجسد مشدوه .. موتور الأعصاب ا
تلفت حولى وقد استيقظ ذهني مشوشا لا يطرح لي مكانا أسكن
اليه .. لكن ما حيلتي ؟ تمللت فأدركت أن زوجتي تحتل مكانها
بجوارى .. فتوخيت الحذر الا أوقظها .. فسوف تطربني
بصوتها الحافل بذل آيات وصنوف الضيق واللوم .. غادرت
الغرفة على أطراف أصابعي ممسكا بمنشفة بالية .. أجفف
بها رشح العرق الأفعوانى حول عنقي وكفى .. الا أن قرقعة
عظام قدمي وراكبتي كادا أن يوقظاها .. لعنة الله على
الكهولة ! .. أخيرا التقيت بالثلجة لأروى ظمأى وأبدد مرارة
شاعت فى حلقى .. وتعتريني كثيرا هذه الأيام .. لعنها المدة
وقد أصابها ما أصاب باقى الجسد من وهن .

أمسكت بضالتي الثلجة .. أجرع ماءها الرطب بنهم ..
وقد استجرات حلاوة الماء متناسيا ما يعقبه من عرق وسخونة
تلهب كل جلدى .. حتى ترامى لسمعى أصواتا خافتة أرجفتنى
وأوقفت الماء لا ييارح حلقى .. وأشاعت الاضطراب المشوب
بحيرة !

كانت تلك الاصوات تأتينى متقطعة عبر حجرة الاستقبال ..
المكان الوحيد فى هذا البيت الذى يثير حنقى لدفع ايجاره بلا انتفاع
حقيقى .. سوى المظاهر ! كما أنه المكان الشاسع العجيب
فى شقتنا العامة بآدميها وأثاثها .. ترى المكان المكان قد
أمسى مسكونا بالجان ؟ ! هذا حقا ما ينقصنى !

اقتربت بأقدام ثقيلة مترددة لمصدر الصوت .. فزاد فى
عجبى قبس من نور ينبعث من الأرضية .. ويحى .. كأنى بفجوة
لم ألاحظها من قبل .. كيف هذا .. والبيت ليس متهالكا ؟ !

أدليت رقبتى وباقى أعضاء جسدى .. تنظر بلهفة من
خلال تلك الفجوة .. لكنها شقة جارى .. وأنى فى سبيلى
لاقتحام خلوة شخص لا تجمعنى به الآن غير فجوة ! .. وأنى
أستريح لنفسى ما أباه للآخرين .. لكن النفس الأمارة بالسوء
غالبها ما تدفعنا الى مزلق ومهاوى نفوس فيها ثم نندم عليها
بعد ! مبررة التلصص هذه المرة أنها حجرة استقبال جارى !! ..
تجمعت حواسى مبهورة بتوزيع الأضواء فى شقته .. تمنيت
ساعتها أن أملك امكانيات توزيع الأضواء التى بيد الآخرين ! ..
ثم جذبنى صوت أنثوى دافئ غريب .. يستنفر الدماء
الناضبة فى عروق الموتى .. جف حلقى وألتهب ظمأى هذه المرة
باحساس مختلف وعطش آخر .. ويحها عيناي أوشكتا
الخروج بحثا عن صاحبة الأنغام الحانية من المحال أن يكون
الصوت المغناج هذا .. لزوج جارى ؟ ! وعندما تمكنت من رؤياها
بهت .. يا رباه أفى دنيانا مثل هذا الجمال العفى الحافل
بالأنوثة ؟ ! حسناء كل ما فيها يصرخ حمما وينفجر حيوية
وشبابا ! لفت كنوزها بغلالة تكشف لتزيد بهاءها اغراء ..

وعينايا اللاهثتان فى سعار وسباق على فتنة يقضى ودعوة
مفضوحة .. صاحبقتها قد استلقت أسفل شغفى تتحدى
نظراتى وتغزو عقلى وتغرق ثباتى !

آه .. آه لهذا الجار كيف واثته جرأته وأتى بهذه الحورية
الجهنمية كيف ؟ أين زوجته ؟ أتراها غارقة فى سباتها ؟ أجزم
أنها متغيبه وأن جارى قد أصطنع المبررات ليعدها عن مسرح
الأشواق الرهيبة ! .. يا لحمقى .. مع أن هيئته لا توحى أنه زير
نساء !! ..

عدت أمارس النظر وأختلس الرؤيا للأملك المحرمة من خلال
الفجوة ولكن هذه المرة وقد غاب الاحساس بالذنب خلف عالم
عجيب اقتحمته على غير ميعاد !! كانت حوريته الشقراء قد
ألت بشعرها الثائر .. فى قوضى محببة تود لو أنك غصت
فيه .. مرغت وجهك فى ادغاله لا تخرج منه تستنشق عبيره
وتهيم ! ..

وأهرب .. أفربعيني من شعرها .. فأنزلق فى محيط جارف
طاغ .. توسطته واحدة خضراء تشع حنانا رحمة بالظالمين
التائهين يا ولى أنهما عيناها .. أتلف وأسكن اليهما وفيهما
أبدا ودهورا ! .. وأهبط ، لأطوف بشفتيها .. ألقى جمرى وزفراتى
ولثماتى .. أسألها الا تزم حتى تروينى .. وتفر عيناى من تفاصيل
جسدها الريان بهضابه وقممه ورواييه ! ..

سرق حواسى صوتا خشنا .. أدركت بفطنتى أنه
لجارى .. تعمدت تجاهله حتى لا أوقظ احساس الذنب عندى ..
أتانى الصوت غير جلى يجاذبها حديثا ويسألها عن اسمها ! ..
وفى دلال خبيث تجيده أمثالها من الغانيات *

هتفت : أبهـمـك الـاسـم حـقا ؟ ناـديـنى بـما تحب .. وأـمنـحـنى
مـن وـجـدانـك اسـمـا !

فقال : حورية .. أنت حقا حورية .. أم تفضلين بديعه ؟ !
رنت ضحكـتها قائلـة : لا بأس بحورية .. وأبعدنى عن بديعة ..
فانى لا أجيد الرقص !

وضحك متسائلا : ترى من أى الفراديس هبطت حوريتى ؟
وأجابته بغضب مصطنع : أه منكم معشر الرجال ..
تستدعينى لتنكرنى .. وتريدنى ثم تخشانى ! ..

ران صمت ثـقيل حـسـمه جارى الأحمق .. مقدما عميق
أسفه .. مصارحها بأنه يخشى مفاجآت زوجته لهما ..
وما يعقبه هذا من مصائب وويلات ! هو يعلمها جيدا !

قالت مستهترة ساخرة : يا عزيزى .. مالى أنا بها ! .. ثم
أليس لك الحق فى الجمع بيننا ؟! .. أه من النساء .. يزددن
توحشا بما امتلكن .

شعر جارى أن حوريته قد تفلت منه .. فهم بها .. وقبل
جبينها .. منحدرًا لخديها .. ثم ليمطرها وأبلا من القبلات ..
وبراكينه قد انطلقت فذابا فيها !! وتصنمت أنا خجلا .. أذوب
حسرة وأسى ! ..

عدت ببصرى بعد برهه ولا أدرى ما أصاب الاضواء فى
شقة جارى .. أم هى عبنائى ؟ ! .. كأننى بأنوارها المزهوة قد
اعتراها البلى .. وانحسر بهاؤها فخفتت وانزوت ! .. وتبدلت
وتحولت حوريته فذاب حسنها وتكشف وجهها السافر عن
قسوة غليظة الدمامة .. وجارى المسكين منكب على عواطفه

نى تفتان واخلاص .. أردت تحذيره وإيقاظه من غفوته ولكن كيف
هو لا يحس وجودى .. وما زال يبصرها بعينين قد عشقتاهما !

اندسر عنها مستلقيا على ظهره .. فأبصرت وجهه
أمامى .. صعقت وأنعقد لسانى ! لا أدري ما أصدق .. تناوبتنى
أخلاق من مشاعر خوف مذهول .. وفرحة مشربة بالدهشة ..
وأنا أواجه شبيهى أسفل الفجوة .. ليس شبيهى .. أنه
أنا .. نعم أنا إلا أعرف نفسى ؟ ! .. ولكن أهو حقا أنا ؟ ..

وجفة اعترتنى ورغبة فى الفرار من المكان .. لكن جراءة
وطفولة حمقاء .. تريد الفرجة .. ولا تهمها النتائج .. اعتقلت
قدامى فتسمرت أمام لسان عقلته أضداد شتى ! .. سكن الصمت
إلا من ضربات قلبى أنا أعلى الفجوة ! .. وصوت الشمطاء
أسفل ..

تتساءل : أما زلت تبغى وجودى .. ويشغلك اسمى ..
أترك تذكرتنى ؟ !

وبلهفة غريزة أجبت أنا السفلى : بل فى شدة الشوق
لمعرفة من تكونين ؟

وفى دلال ممجوج جاءنا صوتها الأجش : أنا أحلام ..
أحلامك يا غبى !!

وجهة نظر

سعادة غامرة احسستها وأنا اتعرف الى احدي جاراتي
اثناء ارتقائي سلم العمارة التي انتقلنا اليها حديثا أنا
وزوجى .. بعد أن غادرنا البلدة النائية الى العاصمة الصاخبة .

فرحة غامرة طوقتني بها جارتى، البشوشة وهى تدعونى
لزيارتها حتى نزيدا تعارفا والقه .. الحق يقال انى مشدودة
بعض الشئىء .. واخشى، من عزلة عشتها ببلدتى الريفية
المنغلقة .. وكانت عزلتى هذه ما يربو على خمس سنوات هى
مدة اقامتنا وزوجى لظروف عمله .

التفت بعد شاردة عابرة الى زوج جارتى الانيق .. وقد
وقف على مبعده منا .. وقفة مظهرها الأدب الجم .. لكن عينى
المدركة امسكت به يتفحصنا، خلصة بطرف عينيه .. نظرة وقحة
داعرة .. لا تكاد تبرح بعض اجزاء جسدى الشاب الناهد
احسست بها كالنصل ولكن لم أعر نظراته اهتماما اول
الأمر .. ومضيت فى مجاذبة زوجته حديثها الودى الحار ..
واصرارها على توثيق اواصر الجيرة والمحبة .. كانت غبطينى
لا توصف فقد كانت دعوتها اول ما ازال توترى من المدينة اللاهثة
بقاظنيها ..

قبل صعودى الى شقتى، اردت من باب الذوق تحية زوجها ..
وصعقت .. كان الحيوان لا يزال يمطرني بنظرات متلصصة
دفعتنى ان ارتقى السلم كالمسوعة أحس بعيونه تلدغ أجزاء بعينها
من جسدى الصاخب الثائر ! ..

غلفنى غضب شديد .. وضيق أشد .. ماذا يظن هذا
المنقلب ويحى بل ماذا يظن بى ؟ أهـ يا شياطين .. لست من
نساء المدن المتداعيات .. ثب الى رشذك ولا تسمح لخيالك
أو ذهنك العرييد أن يتمادى ! .. فأنا على علم تام بذئاب المدن
وسفالتها وكيف يقطرون عنوبة وأديا .. حتى ينالوا وطهرهم
ويلتهموا فريستهم .. وإن ينطلى على كل الاعبيك ! ..

مسكينة جارتى العطوفة .. انها لا تدرك أى ذئب تعاشر ! ..

دخلت الشقة وقد تملكنى انفعالى .. ولا زمنى وأنا اعالج
خلع ثيابى حتى كاد الثوب الانيق أن يتمزق .. حقا انى جميلة
.. بل وفاتنه .. لكنى أعرف كيفية الحفاظ على كنوزى من ذئاب
المدن فقلعتى حصينة .. ولست بالفريسة الهينة .. ومتأهبة
للذود عنها بلا رحمة ! ..

.. مع صبيحة يومى التالى .. سمعت دقات رقيقة واذ
بى اصافح بوجه طفلة حلوه هى ابنة جارتى .. ارسلتها امها
فى دعوتى .. لم اتردد ولييت الدعوة فى الحال وقد صرفت
ذهنى عن زوجها وكانت لهفتى شديدة وحب استطلاعى اعمق
لارى ذوق سيدات المدن فى بيوتهن !

ولجت شقتها الاخاذه .. بمدخلها الذى يتسم برقته وذوقه
الرفيع .. وقفت مبهورة اتطلع الى الاثاث .. وماخوذة بالانسيابية

فى الالوان .. فلم ادرك قدوم زوجها وتحيتى الا حين سمعت
فحيحه الاخاذ يتسلل من اذنى الى اعصابى وجسدى .. فاهتز
وكأن مسا اصابنى ! ..

ارتعدت فرائصى لمسوته الثعبانى المفعم بالشبور ..
فها أنا ذا داخل الوكر ولا شك أن اسنانه جاهزة لالتهامى ! ..
قابلت ترحيبه الحار ببرود حتى يلزم حدوده وكدت اضحك وشبهتني
داخلي .. فقد كان محنى الرأس فى أدب فاقع .. هيهات أن ابتلعه
اننى ريفية لا شك .. ولكنى لست بالغريرة التى يتصورها
متضمنه لمظلماته .. أه يا ابن المدينة الغانية ستسمع وترى
ما لا تحب وترضى !! .. يا ربى .. لقد عاد يصوب نظراته
الخبیثة الخارقة .. حتى انى احسست برعدة هائلة وبرودة من
اصبحت بلا ثياب ! ..

يا له من دنىء .. داعر اين زوجته ليرتدع هذا
الوحش ؟ ! .. وقد سارعت ابنته تستدعى امها .. بينما الذئب
المتظاهر بالوداعة قد غاص بنظراته المتلصصه ! .. احسست
بدمائى الساخنه تلهب رأسى ثم لسانى .. فلم اتوان فى اطلاقه
خفيضا بادىء الأمر .. أما ترتدع وتتأدب ؟ .. لست من هذا
الجنف يا فاجر ! ..

فغر فاه فى بلاهة ودهشة من طلقاتى المنهمرة على أم رأسه .
وعاجلته بدفعة أخرى .. : نظراتك مفضوحة يا ذئب ! ..
الا تغرب عنى ؟ ! ادار رأسه يبحث فى الحجرة عما يكون قد
سمعنى .. وأتت زوجته البلهاء التى لا تعرف .. وآخر من
يعلم ! .. جرى اليها كأنه بحتمى بها ويستجير ...

وعند هذه اللحظة سقطت على أم رأسى أنا صاعقة ..
ودارت بعض الحجرات .. وددت لو تلاشيت .. تبذرت ..
ولا أقابل بالتهكم والتسفيه اللاذع .

وهرعت اغادر شقتهم معتذرة بسهوى عن اطفاء نار
موقدى ! .. والحقيقة ان النيران كانت فى وجنتى ورأسى ! ..
أعقبها شلال ماء قارص البرودة .. وضحكات ابليس فى اذنى
تلسع حجارة من سجيل ..

انتهت معركتى الوهميه .. طرزتها والعنتها بغبائى ..
فان زوج جارتى المسكين .. بعينه حول ! ..

الصليب

حين أبصرته يتوسط ميدانا من ميادين العاصمة أشفقت
عليه من برودة هذا النهار من أيام الشتاء .. إلا أن سراج
أبى الفضل بدى يتصبب عرقا وهو منتصب بجسده المشوق
وعوده الفارع .. ووجهه النحاسى الطلق .. بينما عيناه
اللوزويتان العميقتان تقوداك لسرداب بلا قرار .. تكمل أرنبة
أنفه المسحوية .. وجبينه العريض الناتئ وشفتيه المثلثتين
المنطبتين فى حزم .. صورة للفارس المغوار .. أو لكاهن
بوذى غفقه الظنون والحيرة بالخموض !

كان سراج كتابا مثيرا متباين الاتجاهات .. يشق
عليك قراءاته .. تجده حيننا مذبذبا ثائرا لا يعرف المهادنة ..
أو راقصا يجيد الأعيب الغوانى وضحكاته الفاقعة ، وانما شارد
منكمش .. عزوف عن الناس .. منعزلا مع نفسه يقصد
اليها .. إلا أنه فى أغلب الأحوال بسيط .. متدينا .. وان
عزف عن الحذقة والمتحذلقين .

.. علا صوته فتجمعت صوبة شرانم بشرية ترغب
فى التلهية عن أمور دنياها ! .. راوا فيه رجلا يبرح عقده الخامس

•• لفت انظارهم بسترته الانيقة •• ورباط عنقه الزاهى الألوان
•• تدلت من يده حقيبة فخيمة •• ود فضولهم وعيونهم
لو اخترقوها ! •• أما يده الاخرى فهي تترنح وتعلو فى شتى
الاتجاهات •• مع الهدير المتواصل المنطلق من فمه يشرح به
قضيته •• تداخلت المعانى وأفواج الكلمات المفككة فضاع
الترباط ! •

والأستاذ سراج الغى الزمن •• أسقطه من قضيته المطروحة
على مسرح الأحداث بالميدان الفسيح •• المتعدد مداخله ومذاهبه •

تدافع على أبى الفضل بعض المتلطفين والمتعاطفين
وأصحاب المآرب الأخرى •• وهو مبتهج يلتف بالناس
فيسمعه دون أهله •• ويحكموا له دون قضاته •• فأعق
لسانه البتار يمزق من عقروه •• ويشرح من وسموه بأنه
شهوانى عاشق لذوات الأرداف المثلثة ! •• فكان لسانه
يطيح بهم بالفاظ نابية •• عارية •• لاقت استحسانا عند
البعض ! •• وقد علت البسمات والضحكات الوجوه •• عندما
تندر أحد الحاضرين •

قائلا : كل هذا من تأثير خطاب القوى العاملة ! •

وأبو الفضل الرهينة •• حبيسا لعواطفه المتأججه
المتدفقة بلا ضابط •• وأفكاره ومثالياته المشوشة المتناحرة ! •
بينما الرمال الناعمة تكاد تجذبها وتتنعها •• والظبي الحائر
فى عينيه يود لو ارتد وأن تدافعت ساقاه لنهاية الطريق ! •

والساحر سراج أبو الفضل يحمل حقيبه المغلقة ولم
يفصح عما بها •• يصف للناس كيف سلطوا عليه أشعة

الليزر .. تخترق مسامه .. تتوغل عمق مشاعره .. وتشيع
الفوضى في جل حياته .. أما أقمارهم التي تتجسس عليه
ليل نهار .. فقد وجهتها بوش وكول وتاتشبر ورايين ليطلقوا
السنتهم بشائعات مغرضة تحط من شأنه .. حتى هاجم
رئيس الكهان بصنلته المحشوة بالأكاذيب حذره من تنشيف
الدماغ !! *

استصرخ سراج مشاعر الجماهير .. حلب عواطفهم
صارخا : هل أتركهم يفتكون بي .. وبأسرتي البريئة ؟ ! لا ..
سأكشفهم .. ومن أطلقهم أنهم يعملون تحت الموائد .. ويغفطون
حقوق أمثالي .. لينالوا الشرف والمال .. وينهال الرغام
والخبث على .. لن أرضى بالظلم .. ولن أرضخ لهم ! *

يسقط الظلم والظالمون ! .. ردد الجميع هتافه ..
استشاطوا صارخين .. مطلقين العنان لكرامتهم .. وقد
حرروا مشاعرهم من قيودها *

التهب الميدان .. ضاعت ملامحه .. احتلته .. وحوشها
أشعلت القناحر والاضغينه .. بين مؤيدة لسراج .. ومعارضة
له .. تدافعت الأيدي والألفاظ في بدائية وأرتطمت بالآخرين ..
فتحول الميدان الى باحة شرسية *

.. أراد سراج أن ينسحب إلا أن ثلة مبهمه تمكنت منه
وأحاطته بسواعدا ليطير من وقع ضرباتها الى الهواء ..
منزوع الذيل والجناح .. والشراسة تفور وتزيت أطلبقوا على
البعض ينظفون جيوبهم .. وجماعات أخرى استباححت كل
شيء .. وأى شيء .. وأجساد وطأتها الأقدام العمياء الغليظة ..

وصراخ وعويل .. حنّات السماء أجسواتها ! .. أقفلت نافورة
المياه بالميدان .. وأنفجرت نافورات الدم تراق نزيفا لا يتوقف
وكأنه البداية !

... أحسست بقطرات نيت فوق الرؤوس .. الا أنها كانت
عربات ناجرة بلون الدم والفار جاءت لتطفئ الأحقاد فانطلقت
مياها العنيفة الخارقة تحليج بالأجساد كيفما تشاء ! ..
بينما هناك خراطيم كهلة عجوز تدلت تملأ مياها أرض الميدان
وتعزف اللوحة الدامية خليط الثراب والدماء والوحل .

وأقدام تجرى لبعض الفتحات لتهرب .. وأقدام رجال الأمن
تدافعت من فتحات أخرى لتردع وتدوس .. وتطارد الكل .

عبروا فوق سراج .. دون أدنى التفات ! .. كان ولا يزال
محتفظا بحقيقته وقد لوثتها الدماء والطين .. وأمسى صورة
مزرية تناسب الأفريز الذي سكن إليه ! .

عاقبته زاجرا : أعجبك ما حدث ؟ ! فمط شفّيته بالسلب
والحيرة .. قائلا : أكنت أعلم أنهم في أثرى ؟ ! ومع كل لقد تعرضت
من قبل لشسبيه ما حدث اليوم ! .. ثلة من الحاقدين ضيقوا
على الدوائر .. وأوسّعوني لكمبا وركبلا حتى غشيتني
غاشية ! .. زعموا لي فيما بعد أنهم أرادوا إقصائي عن
طريقهم .. أقنعتهم بخلأ تصورهم وأننى فى أشد الحاجة
الى ادراك أساليبهم وتعلمها .. وأن سراج أبو الفضل
خامة بريئة طيبة ! .. بعد فترة ارتياب حمسوا لتدريبي على
الأفانين المترية فى النخس والتدليس وخط الأمور والأوراق ..
كنت أعلم فنونهم لأدرك خباياهم وأخبارهم وأذيقهم كأسهم ! ..

أردت أن تكون صفعتى مدوية .. تزلزل سوابهم ..
وكانت الحرب .. وها أنت ترى بعض شرها .. أبا ليسهم فى
كل مكان .. افسدوا الأمور .. لكن مازال فى جعبتى العديد ..
سأركن الى مكان آخر وأزاول نشاطى فى ميدان جديد وحتى
النصر !

... عبث خيالى بأبى الفضل فرأيته سيفاً تدلى ..
أسمع صليله .. ولا أرى قتاله .. فارقه العقل .. وطاش منه
الساعد !

... عدت للميدان على أصوات عربات الاسعاف الهادرة.
تشحن المصابين على عجل بينما كالت الهمة والنشاط بكيلها
مع عمال النظافة الذين تباروا يكسحون من الميدان المعركة
وأثارها !

... انتفض أبو الفضل ليبرح الميدان وقد استعاد رباطة
جأشه فاطلق صوته متحشرجا وكأنه فى أعماق بئر جافة ..
قائلا : أهناك من يريد شيئا من السياحة والفنادق يا حضرات ؟
لقد نقلنا النشاط !

وعندما أولوه ظهورهم عاد الى حقيبتة يمسح ظهرها ويعود
حيث جاء .. هرع اليه بعض الصبية يسألونه عما تحتويه
حقيبتة ؟

وأخذ يعالج فتحها وابتسامة غامضة على وجهه ..
مط الصبية رؤوسهم وعيونهم فى جوفها وجاسوا خلالها ..
فلم يروا الا علة سكر .. وبعض أقراص النعناع .. وأدوية
للمعدة !! فأشساحوا وجوههم وأجسادهم وابتسامة عرجاء
على شفاههم .. وانطلقوا عائدين الى الميدان !

الناب . . . أزرق

انتصف الليل فانكشيت عيونه عن أى بارقة أمل . .
أعياء البحث عن أنيس يمضى معه نوبة السهر . . ويخفف
وحدته . . أنيب اليأس الضارية تعض بناته . . وتززع من ذهنه
على مضض منه قدوم هذا الانيس . . وساحة الليل تذررت
فيها بعض الخفقيش تقوم على اعمالها بنشاط وخفة لشد
ما يحنقه وينغص عليه عيشته أن يسموهم بأبنائه . . تمهل
لحظة خفق فيها سويداءه حبور الشبح أتى حافة النهر . . يحملق
فى لجته فتغوص منه النظرات لا تترقد . . حتى مشى الى أكمة
يطارحها شكاته . . قام الليل بهمة محمومة يجهز مجلس الانس
. . انه ازاء قصة أته من خلف الحجب أماط لثامه لتبزع نجومه
الساھرات تثير الدياجير الموحشة . . وتمطى البدر المتشائب
يطرد نعاسه للوافد الوحيد الذى بدى صبوھا فى مiece الصبا . .
غابت به أفكاره فلم يظن لامرأة انبثقت من العتمة . . وزحفت اليه
حنيثا كأفعى مدربة على عس الليل . . لدغ صوته الذى افتعلت
فيه الرقة « مساء الخير » فارتج جسمانه . . ولولا بعض من
غبات لانطلق بساقيه لا يلوى . . جمع شتات أعصابه مدققا
النظر اليها . . فندت الليل بضحكة انثوية . . وان عايبها خشونة

تبلى مدمنات السهر أو مواعيت التدخين .. قال اسلوبها
الرخيص الفج .. ما بك يا روى ؟ أفزعت .. يوه .. اسم الله
عليك .. يا ترى ماذالقى بك عندنا ! .. عاشق مكروب أم حديث
عهد بالفراق ؟ ..

وقبل أن تمضى فى جلده بسوط لسانها اللاذع .. ابصر
وجهه فشبهت دهشة .. يا خبر وأهلى خبر .. القمر تنازل
وزار أرضنا .. وتفوته سهران يا عيني ؟ .. وبلا خشية من
أقدام انقطع مرورها .. لاصقته مجلسه .. ولحت عن كُشب
عبرات بللت جفونه وخديه .. فامتدت بيدها مواسية تمسحها ..
وانتزعت سخريتها من حلقها .. فاضحى صوتها أكثر عذوبة
وانسانية .. وانفجرت أنوثتها .. همست فيه حانية .. ولوعتها
صادقة هذه المرة لم كل هذا افارقتك الى الابد ؟

فاهتزت رأسه بالإيجاب .. وتدفق صنبور عيونه بعبرات
اغرقت محياه بالدمع .. ولم تدرب نفسها الا وهى تواسى هذا
الغريب العاشق فى دنيا ضاعت براءتها .. وامتهنت بكارتها ..
.. ونحيبه الصامت الا من نهضة دفعت بالدموع لعيون الليل ..
والفتى يهتز بعنف فزع .. كمن ألقى به لجورة ثم اهلوا ثلوج
العالمين عليه .. وأحشاء المرأة تتقلص .. وطائر قلبها الذبيح
يرفرف وقد ردت اليه الروح .. فعاد يخفق بفطرته الرهيفة لهذا
العاشق المرتاع .. والعبارات لن تفوق اللمسات .. بعد أن
تخلصت من ثوب حرقتها .. وارتدت انسية .. تغدق من فيض
أمومتها حنانا .. غاب طويلا فى لاوعيتها .. وانهمر بلا وازع
أو خجل لهذا الصب الأخضر فى عالم الغيلان والحيتان ..
وتناسست انفاسها فى حضن انفاسه .. وعيناها تشرب

تجويف نظراته .. وحين رمقها .. شفق رهبة وذهولا ..
واسرها بين ذراعيه مرتميا على عنقها يقبلها ويكي في صوت
اليم .. ثم يلثم خدودها .. ويربت عليها وفرحة النجاة بين
يديه التي تربت وشفتيه المنفرجتين عن عجب مدهول وقد احتوى
شفتيها يرضعهما .. ويغيب فيهما يحتمي من كل شرور
الدنيا ! .. وذهولها المتفرج الحائر .. المنبهر .. اوقف كل فعل
عناقه ولثامته وبؤرة حرمانها .. وجذب غاصت فيه عمرها ..
نهرًا من نار .. اشعل انوثتها التي كادت تنصرم .. فبادلاته
عناقه ولثامته وبؤرة حرمانها .. وجذب غاصت فيه عمرها ..
جذب منها ثمارا كانت قد اهالت عليها رمال السنين .. وعاشت
مراقتها الاولى .. وحب اول دفنته مقررًا الا انه تعرى في
العاصفة. كانضج واعتى مما كان .. قال وهو يلهث سامحهم
الله .. لقد افهموني انك يعنى توفيت .. وعاد يتملاها ويسمع
لدقات قلبها .. وقد انصلحت آماله .. ورتقت احلامه المتسربة
.. وعاد للسانه الوعي .. ولحديثه الرغبة الذاتية .. يا حبيبة
كيف عرفت مكانى .. هل ذلك قلبك على .. اوشكت من الفراق
ان الحق بك عبر النهر .. وبيده الخريقة تحسسها بلا شهوة
او غرض .. فاستكانت اليه ضحكاتها فى اجراس اعياد ميلاد
جاء بلا موعد .. وثأثة طفلة هاج فرحها يوحى امها ..
او شاة بريئة شاعت فى سرايبها سهول غوطة الأمان .. طفقت بين
عينيه تلجس دموعها .. وينبوع المرأة فيها اشرق من كل
الحنايا .. والطريق ما عاد طريقًا .. بل اورق عشا .. كادت
طيور الايكه من الدفء ان تنفخس افراخها .. همست فيه : يا حبي
العائد .. اخشى لسعة برد تصيبك فأموت لها .. دعنا من
هنا .. وهينا عندى فقام عملاقا يدفئها حملا بين ذراعيه وهى

قد امسكت نجمة كم تاقنت فى سواد عمرها ان ترسو عليها ..
 وتنفرد بها عن كل ما كان .. الا انها اشفقت عليه من حمله ..
 فقال حنوها : هذا الدلع قد يفسدنى واعتاده فانسى قسوة
 الارض .. اعدنى اليها فهذا كثير .. فضم خشوع رأسه اليها
 متبتلا وهمس : لو حملتك عمرى .. واصبحت امك .. لا سكنتك
 احشائى .. وما ادركنى أى تعب .. يا حنوة حسبتك ضاعت
 .. ثم عادت الى .. استحلفك بالأعزاء كلهم .. الا تتركينى ..
 أو تفارقينى .. والا تموتى دونى .. وعاد يعب من نبعها فلا يقنع
 والجزعة ارتدت لتنمو موضعها اشراقا حبور متجدد .. نسي
 فيه الوجوم والذمول والاسى القديم وانزلها تترنج ومسكرات
 الهوى قد لعنت باعطافها .. وذرق الطفولة ينمو فى دخيلتها
 لشقاوة الشباب .. وليال ضاعت .. احتبس تغميدها ..
 عادت كأنها لم تمض الا وهلة .. يدها تقبض يده بتشبث حتى
 لا يتبخر سرايبها بعد ان امسكت به ... سارا معا لا يدريان
 وقتا أو بردا .. ينقلهما شوارع فيتلقفهما آخر .. حتى خطى
 زقاقها فى نهاية الطواف .. وفى عمى الغريب المأخوذ تحسس
 درجات سلم لحست السفين والاقدام حوافه وغرقت فيه مواطىء
 زلقة فلا يرتقيه بأمان إلا من عالجه وخبر خباياه الخربة .. حتى
 واجها بابا خشبيا صامد بقمته مفتاحا كبيرا ليصر وينفلج
 عن شسقة تستكين لريحها النفس والانف - أدارت مفتاح
 الكهرباء عن مصباح باهر .. واختفت خلف ارتباكها الملحوظ
 .. بدعوته همسا للولوج .. فضيق حدقتى عينيه - بينما
 تصاعدت تنهيدات ترفع حجرا غليظا عن صدرها .. وتأملته
 بعيون احلامها مأخوذة بدواخلها فقد اهدتها المقادير اسباب

سعادتها أخيرا .. وحدثت فى عينيه عن وقعها عليه - وسكرات
الاعجاب وتلاطمها بمشاعرها يرجرج صدرها بخوف ..
ألا تحظى بالقبول .. وجاءتها اجابة طفلها التائه العائد المخدر
بدفع - افاق لساعته فكأنه فى خضم مولد عرمرم .. ليجد امه
قد ضاعت .. بحث وجهها بامعان فارتسمت ملامحه بامتعاض
ممزوج بذيبة أمل وجاءها صوته من سديق أحشائه : لكنك
لست هى ؟ .. وفى تثبيت مصر على ألا تضيع خيوط السراب
منها أجابت : ولكنك هو ! .. سكتت المناظرة وخرست
اسبابها ومعانيها المتورة - فلجأت المرأة لاساليب حواء -
أخذت تعالج ثوبها وتخلعه لتستدرجه فى رحابها .. وبان
قميصها الداخلى ضعيفا واهنا .. أرق من كنوزها التى برزت
تبقى الحرية .. شاح بوجهه .. وخيبة امله الاولى .. لا زالت
تفتش ساحة عقله .. التفت عليه بنعومة تذاومه .. أكانت
أجمل وأحلى منه ؟ .. وانزاق الثوب من أصابعها ليلقى فى أحد
أركان الحجرة اللطيفة الاعداد .. البسيطة فى غير فقر ..
أحسننت صاحبته بتدويقها وتميقها .. لم يسمعها جوابا ..
فعادت تقدم صاخفا أكثر دسامة وأغراء من مفاتنها .. حتى
تفك عقدة اللسان .. الذى نطق أخيرا : لم أقل أنها أجمل ..
فقط قلت انه « أوه » سأكرر كلماتي : أنا فى شدة الخجل من
سخفى الذى أصبتك به ؟ .. فسارعت بيدها على شفتيه وقد
اضحت ملاصقة لصدره وهمست فى خنوع بائس : ألا تمنحنى
فرصة ؟ أمكث معى الليلة .. لقد قلت لك إنك هو .. هو كل
أمنيأتى فى صقيعى الموحش .. المعرش على أيامى .. حتى التقينا
ووجدت فيك دماثة وحنوا لم أعهدهما فى أحد .. أنا بحاجة اليك

لا غاود الرجوع لنفسى ٠٠ وأنت فى حاجة لتنسى ٠٠ فهل تحرمنا
الفرصة ؟ ٠٠ تصاعدت لوجناته علامات خجل انطوائى غريب
من توسلاتها والحاحها ٠٠ لكنه جادلها : انك لا تعرفينى ٠٠
ولا حتى اسمى ٠٠ فأمسكت شفتيه هذه المرة بشفتيها تسدته ! ٠٠
وقالت : لا تتسرع سنتعارف على مهل ! ٠٠ آلاف الايام وملايين
الساعات ٠٠ وأنا بعد التيه ٠٠ وأخيرا احتوى بعضنا الآخر ! ٠٠
فأطرق برأسه بعد أن أسقطت كل الأمور والمعاذير طالبا منها
ألا تدفعه ٠٠ وأن تدير وجهها حتى يتخلص من ثيابه للنوم .

لم تعرف ماذا تفعل بكل الحبور والسعادة التى القت المراسى
عند زمنها ٠٠ وفى انفعال عام تخلصت من باقى الثياب ٠٠
وجرت تندس تحت الدثار فى انتظاره قريرة العين تتضاربها
الرغبة والحياء فى ليلة زفافها الموعود ٠٠ والتقيا تحت الدثار ٠٠
هو يخشى الملاصقة ٠٠ وهى تود لو فتحته وانطوت بداخله باقى
عمرها ٠٠ وتعلل هذه المرة فى ضيق : هذا المصباح اللعين الذى
ينطفئ ؟ فقالت حواء المنزوعة الجراب ملساء من كل العوائق ٠٠
امام عيونه الجاهظة باللهفة لتطفئ مصباح ٠٠ وتشتعل نارا
تريدها فى فتاهها المخدوع ٠٠ لاصقته فى الظلام مصرحة :
يا اغلى العيون ٠٠ كلنى فى زمام املاكك ٠٠ قبل ان تسامر
تطاع ٠٠

واغدقت عليه غراما احتبسته لفارسها الموعود ٠٠ وحطبت
السنين وهشيمها يتطاير فلا تعدو خلفه ٠٠ ولا تتدسس أعمقه
فاجزلت ٠٠٠٠٠٠ واعتقلته كتحلة تمتص رحيق حياتها ٠٠ تعلمه
الحب فى عبق العطاء ٠٠ والأسر العارم ينتحب غزيرا ٠ من كل
عيونها ٠٠ فقد استمالت قلبا يعطف ويحب ٠٠ وهو يبئسره

الصادية المهجورة تقوقع فى جوفها يغرف من تبعها فلا يرتوى ..
حتى امتلأت البئر لحافتها .. فارتوى غائبا عن هجير الذكريات ..
ناسيا شظف الأيام .. وغائلة الكروب .. شبيع .. فهدأ ونام
فى سبات الامنين .. وهى لصيقته عادت لتعيش فرحتها بعد
ان اصطادت سويحات بعمرها المنصرم - يمامة باضت
آمالها وافرخت نوما قريبا .. ثم الاحلام تتحطم فى هواجس
الحلم فاذا بها عروس فى ثوب يفضح بقدر ما يستتر ..
وعريسها ملثم .. تفضحه نظراته .. ولكن يخفى مراميه ..
والوصيفات بلباسهن محكمات كاسيات حتى الاقدام ..
ضاعت فرحتها من عيونهن ! .. أيقظه صوت يعيش داخله .. ثم
سمع المؤذن بنبراته الخشعة الرعوم يدعو .. بحلو الدعاء ..
فانتفض مذعورا حوله حتى تذكرها .. كانت كما تركها عارية
ترفل فى ثوب سعادتها .. وجرى شريط الاحداث فقام ليقتضى
حاجته فى الحمام وعرج يبحث عن طعام يلتهمه .. ثم ساقته
قدماه الى دولاب خزنتها يعبث فى اركانه حتى التقى بالنقود ثم
بعض الحلوى .. اودعها جيوبه وارطم فى داخله بقطعة معدنية
باردة فتحسسها وهو يعرفها .. فهى سالحة الاثير ميراث
من ابيه .. جذبه من جيبيه يتحسس شفرته الماضية .. تذكر
امه .. فتغيرت به المعالم وانتفض العفريت .. وصورتها تنتقل
بين الرجال .. وهى يتغابى .. والسلام يهبط بها .. ثم عويل
الذسوة فى لحظة الوداع والبيت الذى كان يضج حياة .. صار
قبرا عليه وحده .. واصوات الرجال احيانا تتعالى فيه جميعا
فترهق الأذان والليل ودماء تنزف من عنق امه بعد ان بقرها
احد الذئاب والاحلام .. ويده تنتقل للواقع فتجريها على عنق

صديقة الأمس فتنحصرها .. والدماء ينبوع يتدفق .. اطمأنت
نظراته المتعلقة باذيال الندم .. ومعصرة افكاره عفوية تدخل
الليل المذهول .. يسأل عن منطق للأسباب .. واحساسه بالاثم
ألم يجمعها تحت خيمته ؟ .. والشبح الآفل ينتهز باقى خيوط
الظلام .. يهبط السلم بعد أن دهس العش وحطمه وهو يتمتم
« قلت لها لست هى .. لست اُمى .. ولكنك باغية .. اصررت
بكالأخريات .. هالى أنا .. اما نصحتك » ؟ .. ولكنك وثقت بى
و درجات السلم الملحوس تتسلمه حتى انزلق من احداها ليرتطم
برأسه المزدحمة بالأفكار والتبريرات والدماء والتعاسة .. حتى
ران السكون ! .. وقنديل فى يد قوية صاحبها يتدثر بالبياض ..
عادت لجنب الزقق تنيره .. ولكن الجردان وأنيبها الزرقاء .. لم
تر الثغرة .

أخيرا .. افترقنا

تشاقلت وأنا الوى خطواتى عائدة لحجرتنا تلك الليلة
ثقل لقلبى أن ادلف جحرى الصغير الفقير من اثائه واتلاقى
معه .. شريكى منذ الازل أه لو تعلم ما بحواسى وذهنى ؟ !
فكيف اخفى عنها حقيقة امرى ؟ ! .. سنتظرنى صامته مذهشة
مستكرة .. وأخيرا مشمزة !!

.. ويحى أعرف نظراتها التى ستغرسها بنصلها المديب
فى شغاف قلبى ! .. وغصتى .. ذلتى .. ورأسى بشعره
الناعم المنسدل بلون الحناء .. هذا الرأس سيكون مطنطنا
خفيضا .. لن يكون مشربيا مرفوعا !! ولن استطيع اخفاء
أى شىء عنها ! .. لقد تربينا معا .. تلازمنا منذ نعومة
أظفارنا .. كنت قعيدة بكما فازددت حديا عليها وولعا بها .

.. لا أدري من أحب الأخرى وهام بها ؟ أنا بنزقى ..
وتقلبى واندفاعى وتراجعى ؟ ! أم هى الصامته المتزنة .. تحبنى
فى صمت مكتوم أحس بها وكأنها أم تحنو على وتعطف بزهرها
المفرح .. وأحيانا أحسبها .. غيرة .. حقوده فأوليها ظهري

وأسرق الرذالة .. ثم .. ثم أعود أبكى أمامها معذرة أطلب
صحتها .. نتعثر بلا عتاب *

أتذكر أيام دراستي المتوسطة وقد استدار جسدي
وتكور .. اختال به أمامها في دلال لأثير حفيظتها وأترفع عنها ..
أقص عليها آيات الإعجاب الذي ألقاه في نظرات الآخرين ! ..
فتصاب بالضيق أو اللامبالاة *

.. كنت أتجرد من ثيابي أريها كنوزي ! .. وأحيانا
أتجرد من تظاهري بالوقار .. وأتحرر من القيود والتقاليد ..
ورعونتي تتقاذفها ! .. ثم أقبلها واحتضننها .. لأعود أمام
الجميع متحفظة ساكنة ! .. أخفي الجمر المشتعل في صدري
وجسدي ! *

.. الكارثة المصيبة هذه الليلة كيف أهرب من نظراتها
الحارقة المترغلة في أعماقي ؟ .. وما سيعقبها من رد فعل ؟ !
سأستعيد رباطة جأشي وسيطرتي على حواسي .. وإن تسخر
منى .. لقد أذرتني من قبل .. وأنا في أول لقاء ! .. وافقتها
وسخريتني في أعماقي ! .. أهذه البكماء القعيدة التي لا تعرف
الدنيا مثلي .. تقدر الأمور .. وتعيها عني ؟ *

اننى كل صلتها بالدنيا .. فهي لا تغادر حجرتنا
إلا للظروف الخاصة .. حتى اننى اشفق عليها واجملها
إذا قدمت صديقة إلينا لتراها في صورة مقبولة *

.. وعندما أرادت أمي عزلها في حجرة أخرى حتى
لا تشغلني ! .. بكيت استعطفها أن تتركني أرحاها وأربت
عليها ! .. والآن بعد أن عرفت مراد .. أصابتها العصبية

وشدة الانفعال .. تشيح بوجهها عني .. وتغمض عينيها
.. أه من الأنيرة ! قريني حبيسة .. اظل بجانبها ونمسي
عائستين ينهلينا الجايد !!

ولكن مرادى أحلى فتيان الحي .. بل العالم كله ! ..
نظراته المداومة المسحورة على أنا .. في كل خطواتي !! أذوب
وارائي لصق ذراعيه .. أسيرة شفقيه .. جليسة عينيهِ ..
قرينة أنفاسه ! .. وفؤاده فراشته وحوريته .. توأم روحه
وأحلامه ! .. يعيش في .. شمعة تضئ سرابي وظلامي
وأيامي .. تحرق كل أعدائي وحسادى وحشرائي !! نسمو
فكرة ازلية .. نعد واطيارا غريدة تغزو القلوب والحكايات ..
حورية ومراد !!

ذهبت اليه راقعة .. عاقصة شعري الناعم .. نبضى
وقلبي يرفرفان .. سينفجران .. والموعد كما اراد .. بعيدا عن
عيون كل الحاسدين ! .. لم أصارحها وأنا أتألق .. اضمخ
جسدى بعطري الاثير لديه .

.. طرت اليه وتلاقينا ! .. اعطيته عيناى .. كنت متلهفة
حبهورة .. ملكته حواسي .. وقلبي هذا المجرم الصغير سيفضحنى
امامه ! .. وهو أين هو .. يحدث عنه فيه لم أر عينيه في عيني رأيت
أخريان مجهولتان ! .. يحدث عن مرادى بلا جدوى .. امتدت
أصابعه .. كانت ساخنة مرتعدة كشظية جمر ! .. لا .. باردة
كأيدي الموتى ! .. يحفرهما في كتفى وجسدى ليتشبث بالحياة ! ..
أنفاسه المحترقة والدخان المتطاير منها يعميني ! .. يا ربى ..
أقدامه ناهضة بلا سيقان ! .. مترنحتان يتساندان على ! ..

.. أهو مغموم .. مريض ؟ ! أخذته الى الأريكة وسقطته
عليه وبكى كطفل مذعور ضاغت أمه في الزحام !! ربت عليه ..
وهو يخبىء قلبه الزمنية في صدرى .. النحيب متواصل ! ..
ولا أدري أمشفقة مذهولة ؟ ! أم مذعورة مصدومة ؟ ! أردته أبا ..
صرحا عاليا يصد ارزاء العالم عنى .. وأرادنى أمسا يخبىء
عندها ! ..

.. ويحى لم يكن طفلا ! .. بل فهد أرقط خبيث جائع فريسته
بين براثنه يتوغل فيها لينهل من دمها وجسدها !! ..
يا شقوتى ! .. تمزقت أحلامى لمستنقع عفن ! ..

تود ان تهتك أقدامى أبدا .. لا .. صرخت أبيت بأصرار ! ..
جنت لوثنه وشهرته لتسرب الفريسة منه ..

.. عدوت منه وكنت للحظة اعدو اليه .. ممزقة الثياب
والشعر المنسدل والنفس .. فديحتى غاصت بسرايى ..
ولجت حجرتى وانفجرت فيها ثورتى ! ..

صرخت فيها : لا أريدك .. أخرجى .. لا عتاب ..
وقذفتها بما فى يدي فأصابها .. صرخت وانهارت تعوى ! ..
جاءت أمى لتعرف ما حدث ..

فأجبتها بصوت أجوف : أبدا .. لقد كسرت المرأة ! ..

في الضوء تستبين الأشياء

انتصب كالبركان الجائر .. وسط بحر متلاطم الأمواج ..
مترامي الأطراف من صنوف القمامة ضرب خيامها على مشارف
المدينة .. اطلاق شرار عينيه الغاضبتين ... الناطقتين بالغیظ ..
يخيف دجنة الليل ويوقدها .. لقد واعدته على اللقاء ... وتركها
تختار .. فانتقت هذا المكان ... وما هو الليل قد انتصف دون
حضورها .. هذه الشقية .. كم ليال ومرات لطعته في أشباه
هذا المكان .. تبا لها .. سيلقنها درسا عندما يراها .. القلق
يمضغه ويتلاعب به .. وهو الذي لا يحلو له الا اللعب بالآخرين ..
نظراته المخلولة تجوس مخزون الزبالة المتراكم بروائح العفنة ..
وتنقلها الرياح عشرات الأميال .. تهاجم السابلة والمعطرين في
عرباتهم .. يفرون وقد لدغتهم الرائحة .. أما هو فلم يابه ..
ولسان أفكاره يعجب لمخلفات .. انظف من أصحابها ..

... جذ نواجذه المديبة على ابتسامة غیظ تبادل مسرح
وجهه مع قلق الانتظار .. وبغته سمع حقیق أقدام فأرهف السمع
.. تبين أنها لحلوف صغير .. قرصة الجوع .. فخرج غير
أبه ببرد .. أو مجهول .. وفي قفزة رشيقة انقض عليه وكممه ..
بعد أن راودته فكرة أن يتخفى داخل هذا الحلوف .. ويفاجيء

المستهترة به .. سارع الى تنفيذ الفكرة .. ومن داخل الحلوف
شد انتباهه هذه المرة شبح آت صوبه .. كان لرجل قمار
القوام .. تتمايل أردافه كزنبرك مائع والتقيا وجها لوجه .. يزن
كل منهما الآخر .. سرعان ما انطلق جرس أنثوى فاقع خرج من
الرجل .. وهيج الاحناش فى جحورها .. غرر به الصوت
والمفاجأة .. ثم خرجت من داخل الرجل أنثى قاسية الجمال
أشعلت هواء المكان بحريقها .. مدت أظافرها تداعب الحلوق ..
ووخزته فى بطنه صائحة : برجاس .. اطلع من ملاعيبك ..
خرج برجاس من الحلوف غارقا فى ضيقه وكمده .. وألقى بجثة
الحلوف على القمامة لتقع بجانب جثمان الرجل القمار القوام ..
رمى برجاس الرجل شذرا واستدار يقيم حفل عتابه فعاجلته
الأنثى هاتفه : حبيبى برجاس .. هذا الادمى التعس الملقى أمامك
هو السبب فى التأخير .. لقد بذلت جهدا خارقا حتى عثرت
على ضالته المنشودة فيه .. فقد كان فى قعدة لتعاطى المزاج ..
استقطبته من بين رفاقه .. ثم استملته بأساليبي التى لا تخيب ..
وباعى الطويل فى هذا المضمار .. ثم ارتديته وجئت به اليك ..
وما أنا .. شنيك ليك حبيبتك زائنه بين ايديك .. قهقه برجاس
متهكما : بخ .. بخ .. لقد وعيت هؤلاء الأدميين الملاعيب .. بل
حسرت ترطنين لسانهم .. هات ما عندك تفصيلا .. فى شوق
لسماعك .. وحسابنا ليس الآن .. فالهمه جد شاقه فأنا فى
سبيلى للايقاع بآدمى يطلقون عليه أديب .. ومفكر انسانى ..
ومثل الفاظهم الرنانة .. وهم يتفاخرون به ويعجبون .. وملاعيبى
كلها فى جانب والايقاع بمثل هذا الاديب وشجب غروره فى
الجانب الآخر حتى ينزلق مع البشر الفاجرين الحثالة فى

شهوراتهم وكيوفهم .. والى حيث ألفت .. فإذا أوتعننا صيدنا
الثمين .. فانت مكافأتى من جدنا الاعظم .. وإن خسرنا ..
فديأتى هى الثمن .. وثبت زاينه كالصافى تحدى صدره فى
مجون .. وتقبله بهياج .. قائلة : ستنجح يا حبيبى بالتاكيد ..
قابله يتوسط حلبة .. تصاعدت منها مداخن المزاج .. وأبخرة
ضحكات ما جنة أمام كل ضحكة جذوة نار ساحرة .. تتوهج
كلما جذبوا الانفاس .. الكل يلهو .. ودفع الصبحه ينير المكان
الموحش .. فتلمع مصابيحهم ببهجة مخدرة .. آه يا برجاس ..
لقد كان هذا المكان ملعب صباى وطفولتى .. ثم شغله الانس
اللاعين واغتصبوه .. واضطربنا للانسحاب لنهرب من
ضجيجهم وعفاريتهم الصغار .. نعود لزايد كما ينادوه ..
نجم الحلقة بقفشاته وخفة عقله .. وتهريجه : كان المعهم ..
واكثرهم تألقا .. ورغم اندماجه فى الصبحه الا أنه لحنى ..
وانسحب تجاهى يكاد يتعثر فى لعبه .. مما شد من عزيمنى
وأرضى أنوثتى .. هاجمته هاتفة : كيف عرفت أنى أريدك من دون
الجميع ؟ .. فأجابنى وهو يوشك أن يلتهمنى : أنفى بحساس
يشتم أريج الفاتنات .. فهو مدرب .. ستجديننى عبيدك ..
وانا أجيد ارضاءهن .. وأكتم السر ! .. فأرضيت غروره
مؤكدته : لقد وصفوك لى .. فأتيتك تسبقنى أشواقى .. ولعلك
لن تخذلنى .. فأنا متورطه وأريدك أن تبيعينى جسديك لفترة
محدودة .. وسأجزل العطاء .. وأكون لك كما تشاء مد يده
يتحسسنى .. لكى يطمئن قلبه أنى حقيقة لا وهما من أوهام
الحشيش وهمس : الغالى يرخص لك .. فغمزت له بدلال : آه
منك يا عفريت .. وتضاحكنا وهو يصطحبنى لشقته حتى نبرم

الاتفاق .. وانقلب وكأنه واحد منا فى نشاطه ومرحه .. وأقبل
على شراء ما يخطر بباله .. وأنا ابتاع له ما يشاء .. لزوم
حفلة التوقيع .. ومن حارة .. لزقاق .. لشق لا يقطنه الا الجرذان
والأفاعى .. وصلنا بيته المتهالك .. الى جحره السماوى ..
الخواوى على بلاطه الا من فرشة فى ركن من الاركان .. تواضعت
وافترشتها وأنا أعالج خلع ثيابى وأتجرد .. له تماما ..
واستدار على استحياء يضع ما ابتعناه بجانب الفرشة ..
وعندما أبصرنى عارية شهق بحماس صائحا : يا ليلة مثل
الفل والورد .. أمى رحمها الله دعوتها استجابت .. قلم
أر تفاحا بهذا الجمال وبمثل هذا الحجم .. ينصر عفاريت
أهلك .. وأغوص فى القشطرة .. وكلام ساخن عجيب
يتدفق .. يسحر أعتى الاناث .. كلام لم أسمعه من قبل ..
ثم انقلب مسعورا يطارحنى الغرام .. كمارد جبار .. لا يرحم
أو يشبع من فاكهتى وحلوأى .. أرجوك الا تتضايق يا برجاس
من هذه التفاصيل .. بعد أن توقف عن شقاوته منحته نقودا
كثيرة .. كانت لها فعل السحر .. فقد أشبعنى لثما وتقبيلا
.. فأثمتته .. بما يهواه .. ووجدتنى بعد أن تخلطنا أطربه
بلا زيف .. الا أنه أخذ يحاصرني بأسئلته عن التفاصيل ..
فتخلصت من لجاجته بأننى كل التفاصيل فعاد للانزل ومراجعة
التفاصيل .. وما أن فرغنا أتيك به .. وقد تحدثت وتوغلت فى
كل أجهزته ..

ربت برجاس عليها معربا عن رضاها .. والتفت الى زايد
الملقى على القمامة بجانب الحلوف .. وطالبها أن تعيده الى
صوابه ووعيه .. وما أن ثاب الحلوف وزايد ، الى رشدهما حتى
لأن الأول بالفرار بينما أخذ زايد يدير أنظاره فى المكان الذى ساقته

اليه زايته .. أبصر تنى جوارها رجلا صفيق الوجه علت وجهه
نظرة تهكمية فعالت زايته الموقف وقدمته لزايده بأنه الأمير
برجاس .

لم يضيع الأخير الوقت .. بل بادر يشرح المغامرة التي
هم بصدها الى زايد .. وأنها مجرد دعابة لصديق نسي مباحج
الحياة .. وتشترق بالفكر .. وحلمس نفسه فى قدور الأدب
والمبادئ .. وأنهم يزعمون اطلاق البشاشة والحياة البهيجة
الى هذا الانسان البائس .. أكمل برجاس شرح الملعوب أثناء
سيرهما الى بيت الداعية الانسانية .. وقد توثبته النشوة وهى
يرشك أن ينفذ الى احلامه .

وصلوا الى صومعة الأديب المفكر .. واقتحمها برجاس ..
مدعيا أنه بعض مريدى الأديب .. ومن أشدهم غبطة وأعجابا به ..
أما الأديب الداعية الذى عبر منتصف العمر .. فقد فوجئ
بشباب يقف أمامه أمرد الوجه .. يلوك الحجج والاعتذارات
ولا يعنيه ، فساحة وجهه لا أثر فيها لما يقول .. نحى المفكر
ما أمامه .. ليسير غور هذا الغر الصفيق ويستشف
ما تخفيه الاكمه .. عاد برجاس يسوق لجأته ومعاذيره ..
وأن صديقا فى محنة .. لجأ اليه ولم يجد من نفسه الكفاءة
والمقدرة على نجدته واسباغ المشورة عليه .. ولجأ للأديب
المفكر .. والذى هو بمثابة الرمز الناضج .. والذكاء الوقاد ..
والحكمة المتمرس .. ليغيث الصديق .. وغاب برهة دون أن
يعطى للأديب الفرصة فى الموافقة .. أو الرفض .. وعاد بزايد
الذى تمت برمجته وما أن قدمه .. حتى تظاهر بالانسحاب
تاركا للأديب ثانى المخلوقات فى هذه الليلة الغريبة المريبة فى
أحداثها .

أبصر الأديب رجلاً في مقتبل العمر .. لا يخلو من وسامة
يخفى خلفها صفحة ذهن تبدو بكراً .. وان علت قسيمات
الوجه هالات الفاقة البوهيمية وحفرت المذاذات آثارها على الملامح ..
انشغل زايد بالتطلع الى العالم العجيب .. ألقى نفسه في مختبره
.. كان معبد الفكر .. وايوان العقل .. أكثر اغراء وأشدّ جذبا
.. بهره المكان بجدرانها التي ناءت بما حملت من صنوف
الكتب .. وطنفسة اعتلت الارضية وافترشتها .. تكاد لو
جمعت ذراتها العالقة لاستخرجت أدبا وفكرا .. ! .. أضواؤها
الخافته في بعض الجوانب تغرس الرهبة والوقار .. بينما الأنوار
الساطعة على المكتب من مصباح نحاسي .. يهديك الى
الصواب .. شتان الأنفاس هنا التي تنضج بالثقافات ..
بينما الأنفاس في قعدته المزاجية تنضج بغيب الذهن وتوهان
الرفاق .. يسأل زايد بغته : سيدي هل قرأت كل هذه الكتب ..
واستوعبتها ؟ .. تبسم الداعية الانسانية وأجاب في تواضع
المشفق : نعم يا أخى .. كل ما تراه حولك من كتب ان هو الا
مفايتح للمعرفة والعلوم .. تأخذك اول الامر في حوضها .. فتلهيك
عن سخافات الدنيا .. ودناياها .. وترتاد بك عالما ما كنت
تحفل به عندما كنت سادرا في ضلالات الشهوات .. وتنبتق
من أعماقك رغبة في الارتواء .. وكلنا في نهر المعارف عطشى ..
نستعذب المزيد ومن نهر علوم .. الى بحر معرفة .. ترتاح الى
محيط أكبر .. تتفتح له مسام عقلك .. وينير قلبك مهما غرقت
منه لا ينضب .. واذا بك في معية الله .. واذا بمعارفك لا تعدو
بضع قطرات فتعرف مقدارك وحجمك .. وتهون الدنيا بما
وسعت واحتوت .. وترى نفسك لا زالت عالقة برمال الجهل ..
وانك بحاجة لأن تنفضها .. استمحك عنرا .. اعرف أنك

جئتني لظروف خاصة تضيقني ٠٠ وكلى اذان صاغية
يا سيد ٠٠ فأجاب زايد يا سيدي ٠٠ معذرة للتطفل بدون
موعد ٠٠ مشكأتى تبدو سخيقة لفكر كبير مثل سيادتك ٠٠
ولكنها لأمثالى عويصة ٠٠ فقد قلبت حياتى رأسا على عقب ٠٠
كما انى لا أدري وأنت فى صومعتك مبلغ صلتك بعالمنا
ومتقلباته وأزماته ٠٠ تداخلت الامور بنا فاذا بأزمة الوقود
والمياه تتعاقى على أزمة المبادئ والقيم ٠٠ واقترست أزمة
التمك والانانية ٠٠ عصر الفرسان والشهامة والتحدى بالدين
٠٠ وكأنى بالاتصالات وابتكارتها قد أضحت حبيسة المحابر
٠٠ سيدي ٠٠ عالمنا اليوم يبدو مصروعا على عواهنه ٠٠
ولكنه بمواليد - مفتوحة العيون - غائبة المفاهيم والمدرجات ٠٠
لا يسبينا ولا يهديننا عقل باطن أو ظاهر ٠٠ اننا سوق من
دواب وماشية ٠٠ نقتل دوما للأسباب أو دونها ٠٠ تردينا
وبتنا جزرا متناثية مغلوقة تتنافر وتتضاد وتعشق الغباء ٠٠
جزيرتى الوحشية بشطآنها الآسنة الغريقة ٠٠ أجهل
أنا دروبها ٠٠ ومجاهلها ٠٠ لا ٠٠ ساعداى ومجدافى شديدا
المراس ٠ ولا نوازعى تحتذى بقيم أو ترتدع بأخلاقيات ٠٠
أو حتى تأبه ٠٠ أحيا لذاتى ٠٠ وأتوحدل أو أزوى سسيان ٠٠
فلا يعنينى مخلوق ٠٠ ولا يدري بى انسان ٠٠٠٠ ضعفى أطنان
ارادتى ٠٠ فسأثرت سكنى الهامش من الشواطىء ٠٠ حتى
اعترضتنى سيدة فى مقتبل العمر ٠٠ يوصف الجمال بها ٠٠
ويحار الوصف فى تبيان جمالها ٠٠ جاءتني تستجير بى ٠٠
فحشقت أن أكتوى يقربها ٠٠ وطوع بنانها ٠٠ سألتنى أمرا
تافها ٠٠ أن بيعها جسدى أو تستأجره ٠٠ علتني الدهشة

للحظات .. وعن طيب خاطر .. أجبت طلبها .. اندفعت خلف
 استهتاري ونزقي .. وغباء حيلتي .. خلف طلبها وأسلمتها
 نفسى مقابل المتعة بجسدها .. ولم أدر .. أهنالك أزمة أجساد
 .. وما هى ظروف وطبيعة الازمة .. فرحبت بأنيس يسكن معى
 ذات الجسد .. فخلعت جسدها .. وأرتدت جسدى وغاصت
 جزيرتى .. وفرحت .. سعادة الدنيا .. لا تدانى سعادتى ..
 فلن أجار بالوحدة كالأخرين .. ولن أشكو الفراغ .. لكفى بعد
 برهة أدراكت أى ورطة استدرجت اليها .. فأنا لا أقابلها
 الا اماما .. حين دخول أو على أبواب الخروج منى .. باتت تمارس
 طقوسها بلا رادع .. وأضحت جزيرتى ضيقة على بعد أن
 كنت أشكو للفراغ من عزلتى .. كانت تجوس وتجول وتعبث
 ما شاء لها مزاجها .. بلا حتى العرفان بالجميل ثم جاءتنى
 يوما لتلقى فى وجهى قنبلتها .. أنها حامل ! .. وتريد منى
 أن أختفى من الجسد .. حتى يتم الحمل .. ثم الرضاعة ! ..
 أنا على آخر الزمن حامل ؟ ومرضع ؟ ! وانخرط فى البكاء
 المرير ! .. نسي التمثيل .. واندمج فى الامر معاشيا للدور ..
 وفى طيبة الذى انطلت عليه الحيلة تساءل الأديب : أترى الحمل
 منك ؟ .. أفاق زايد من نحيبه وقال غاضبا : - سيدى هذا
 كل ما يعنك ؟ .. وهتكى .. وفضيحتى أمام هذا الكون
 « الرجل الحامل » لقد مسخت .. ولا أستبعد من هذه الفاجرة
 أن تلجأ للأطباء .. فيتخلصوا من أعضاء ذكورتى توطئة
 لطردى نهائيا من جسدى .. بوضع الرجل .. وعلى المتضرر
 اللجوء لاستودع القمامة !

انتهى زايد من القذف بموجاته المتتابعة على ساحل الفكر
 الأديب .. ثم تلاشى الزيد وران على الصومعة هدوء مطبق ..

أشرق ذهن الأديب .. وأرتد للمنطق صوابه .. بانته قفازات
التحدى مغلفة بالخديعة والدهاء .. وجرت عيننا الأديب الى
كتب الأديان السماوية يتلمس عندها فصل الخطاب .. فأشرق
الوجه بالنور .. وخاطب زايد قائلاً : ولكن مثل هذه الامور
لا تسوى هكذا .. فهل أحضرت من أثارت كل هذه القلاقل ؟ ..
وما أن فرغ من طلبه حتى غاب زايد وامتطت زايته جسده
لتمارس ألعبيها .. وضحكه مغناجة فاحشة المرامي .. ركبت
بها الأديب وسهام النظرات تغمدها في دلال حتى تتطوع فولاذ
الأديب الذي عاجلها متسائلاً : ما أسمك يا عفريتة ؟ ..
تلعثت زايته وأرتج عليها القول وفي زلة لسان سألته :
كيف عرفت هذا ؟ فأجابها المفكر ما عليك هذا ! سترين وألقى
بتمتمات حولها فارتعشت زايته وانقلبها الرعب .. وعاد
لزايد وعيه .. وعندها أرادت زايته الهرب .. فحاصرها الأديب
في مجلسها ثم أدار أنظاره التي تجولت بنورها في الأركان
فأخرجت العفريت برجاس الذي تحول الى فأر ممسوخ الكيان
وبعيون الواقع رأى زايد .. الداعية الانسانية جبلاً شامخاً ..
مذيع الأركان .. الغضب فيه يزار .. فترتعد الجزدان فلا حول
لها ولا قوة .. وتسلسلت لزايد رعدة انتفض لها جسده
حتى عاجله الأديب بالسؤال : من أذن لك أن تهب ما لا تملك ؟
أظننت هذا الجسد ملكك يا غافل .. فتبيعه وتؤجره لمن
تشاء ؟ .. ان هو الا أمانه .. يا أعمى .. ولكنك من جهلك
أضدكت علينا سائر المخلوقات .. وعندما اخترت الظلام
معيشة لك .. استخفت بك الهوام والحشرات .. وبدلاً من
البحث في مفاتيح المعرفة واغتراف العلوم .. وقفت عند باب الجهل

تظليه وتجليه .. وأنت مغتبط ومتعلق به .. تجرى وراء هذه
الزانية وقوادها .. وتستبيح صومعتى .. وتلقى الى بمهازلك ..
وسترى ما أنا فاعل بأمرهما .. واذ بالداعية الانسانية يتمتم
بآيات من كلمات الله وتحترق الألعية وقوادها .. وأراد زايد
أن يفر فألجمه المفكر بصرخة أوقفته عند الباب متسمرًا
قائلًا : هل رأيت ما حاق بجرذك الطاوسى وعاهرتة .. لقد الت
عليك نفسك أن تكون بورا وهصرت شهواتك فى غيب نفسك
المظلمة .. ولن تعود الا مع النور .. فالاشياء لا تستبين
الا فى الضوء .. فهل أوليتنى روحك نغسلها فى بئر العوارم ..
ترتد لك طاهره نقيه ؟ وتوسل زايد قائلًا : ولكنى لا أملك
قوتك .. فانى محالة غارق .. غارق .. وفى صسلاية امتدت
يد الداعية المفكر .. فكانها قبس من نور .. فتحت أبواب عالم
مترامى الاطراف .. وأقدام العالم الاديب تدوس اليابس
فيخضر .. والجهل فى حيرة زايد يتوارى وينسلخ من معيته .
والحصى فى الهجير لظى .. لا يعتاده الناعم الرسنان .

العبية والأقنعة

٠٠٠ ارتقى سلم الوزارة الرخامي الدرج ٠٠ وهو يتوشب
حيوية واغتيبا ٠٠ تنفجر خطواته بالثقة والجرأة ٠٠ بقامته
المديدة المائلة للبدانة ٠٠ وقد بدت بزته الزرقاء القاتمة وكأنها
قد فرغت من يد حائكها لتوها ٠٠ ضمخها صاحبها بعطره
الاثير ٠٠ ورغم أن عطره المستورد المبتذل لا يتناسب وطراز
البزة ٠٠ الا ان البزة انسب ما تكون لطربوشه الأحمر القاني
٠٠ كعرف ديك منتفخ الأوداج ٠٠ عظيم الاعتداد بالنفس .

٠٠ طوى الأستاذ مصطفى كامل الدرجات ٠٠ ثم انحرف
في أروقة الوزارة متجها لحجرتة ٠٠ وهو يلقي بتحيات
مقتضيه على السعاة وصغار الموظفين ٠٠ حتى وصل باب
حجرتة الموصدة فهرول ساع كهل يفتح الباب بانحناءة
مبالغ فيها ! .

انفرجت الحجرة عن تحفة أثرية أخفاها الزمان عن عصرها
ليمتع فقراء الجمال في عصرنا ٠٠ بعبقها وسحرها المتميز ٠٠
الذى لا تدري كنهه أو مصدره . . لتقف مبهوراً بالمكتب المطعم
بالصدف والموشى بمشغولات الأرابيسك محتفظاً بأبهته ورونقه

وقد علت المكتب لافتته لكتبت بماء الذهب بخط ديوانى بارع « لو لم
أكن مصرياً .. لوددت أن أكون مصرياً » .

.. وقد احتضن المكتب مقاعد عريضة وثيرة .. صنعت
لتلائم المكتب العريق .. وكأنهم شهود على ذوق رفيع غابرا .

والأرضية وقد أكتست بطنفسه عريضة بهتت ألوانها
بعض الشيء إلا أنها مازالت تغوص بأقدام زائريها ..

وعلى الجدران تناشرت صور الزعيم الخالد مصطفى
كامل .. ليتأصل انطباع الرهبة والخشوع فى قدس من أقداس
من تجرد من ذاته ولذاته .. فى ذات وعشق أسمى .

.. تعلقت أنفاس ونظرات مصطفى كامل بمنضدة احتلاها
هاتفان ! .. أحدهما فأجر الأجرار ينتظره مصطفى وقد طار
منه الصبر .. وعندما علا رنينه وزغرد .. أسرع يلبي
الداء .. لينساب إليه صوتا دافئا أخاذا له باع طريل فى أسر
مستمعية ! ..

وكان طقطف غارقا فى موجات صوت لذيذ .. عنكبوت
خيوطه ذكية ! .. لكن هادم النشوات تمثل فى أحد مرءوسى
الأستاذ مصطفى وقف على أدب بارد ليقطع وصلة الآهات
الحارة ! .. والتفت مصطفى فى حلق إليه .. هات ما عندك ؟ !
خلصنى ! .

وأخذ المرءوس المهذب يعدد جدول الأعمال ..

بعض الأوراق تنتظر تمهيركم يا أفندم .. هناك مزدوب
مجلة وعى الدين .. وعضبو جمعية مصر الفتاة .. و ..
والأرملة .. وجيدة هانم .. لتخليص باقى المستندات ! .

ابتنسنت سريرة مصطفى كامل .. الا انه اخفى حبوره
قدر المستطاع عند سماعه اسم الارملة .. وسمح لها
بالدخول قبل اى شىء .. وانشغل بترتيب افكاره لحظات
قدومها ..

وانتبه مصطفى عندما دافقت وجيده هانم بقوامها الفارع
المفوف وقد اتشاحت بثياب سوداء زادتها فتنة .. ارتعد
قلب مصطفى وتاه منه .. كما حدث فى المقابلات السابقة ..
فقد اخذت وجيده هانم بمجامع القلب والحواس والنظرات ! ..
مدت يدها الناعمة ليحتضنها مصطفى بيده فيسرى تيار
من كهرباء متقد .. ويطالع بحيرتين خضراوتين شفافتين
فتنزلق نظراته وتغوص وتضيع فى واحتين تلقى فيهما الوداعة
والسكينة .. ولكن الى حين ! ويتسرب منهما خدر لذيذ لا تود
منه فكাকা ..

عندما ثاب مصطفى الى رشده .. اعتذر بنظراته لانشغاله
عنها ! .. فقبلت وأدركت بابتسامة واعية .. أخذ يعيث بحافظة
أوراقها . يقلب فيها .. ويخفى بعض اضطرابه حتى فتح الله
عليه بوضع كلمات يجرح بها الصمت : المرحوم فيما يدين
رجولة ودمائة خلق كان الله فى عونك ! ..

.. القى الكلمات بصوت ضائع النبرات بينما خصلة
من شعرها الشائر تدلت من طيات وشاحها الرقيق الشفاف ..
كانت قد شغلت كل حواسه .. وأحرقت أترانه ! ..

أما الأرملة الفاتنة فقد تفجرت العبرات فى مقلتيها .. ونحيب
خفيض مكتوم لذكرى أيام يابسة مرة علقم .. وأيام غامضة

تنتظرها .. لا تدري مكنونها : وفي تباين مشاعرها أغشى
عليها .. اغماء خفيفة .. انتفض مصطفى يهرول جزعا ..
لا يدري أى الفاظه أودت بها الى الاغماء .. وقنينة عطرة تستنشقها
دون جدوى .. حتى أمسك بكلتا يديها يداكهما بلهفة ..
ويربت على خديها بحنان .. وشبق !

.. استردت خجلي بعض وعيها .. رآته يحوطها باهتمامه ..
وحنانه وجزعه .. ورأت نفسها فى جب عينيهِ العسليتين
توشك على الغرق .. وشعرت بغريزتها الأنثوية أنها أن
شارفت على الغوص .. فإن تستطيع الخروج ! .. فأسعدتها
هذا وسارع من دقات قلبها !

وانساب صوته هامسا : لا بأس عليك .. يبدو أن المكان
الخائق والارهاق .. والروتين .. و .. وأنا .. هم سبب
الاجهاد : دعيني اكفر عن كل هذا .. عربتي فى خدمتك حيث
تشائين !

حاولت الرفض .. فأصر على موقفه .. ضمتها عربته الى
أحياء هادئة .. وبلا تركيز منه كانت تقف أمام عشه الهادىء ! ..
ترددت وجيدة هانم فى مصاحبته .. احسنت برعدة خفيفة ..
وجفاف فى حلقها .. وتحذير خفى الا تتبعه .. فزادها التحذير
عنادا وتحديا : وحسنت الامر فى لحظة رعونة لتفك قيدها ..
وحسبها قيودا رسفت فيها منذ مولدها !

أقبلت تدخل معه .. تبادله كلمات لا تعيها .. تلوم جرأتها
ونزقها على اقتحام شقة غريب أعزب فيعلو صدرها .. وتتكرر
نظراتها .. بينما مصطفى يعالج ارتباكاه بخلع الستر والاطاحة
بالبطربوش !! ..

بأدر يذم عصير ليفون مثلج .. يبرد به اضطرابه ودبيب
قلبه ورجبيه .. وقد أمسكت وجيدة بكأسها تشرب في عينيه
عليها تسكت وجلها .. لكن قلبها هذا العذريت الثائر قد تعلق
بنصطفى .. وهي تعنفه داخلها : « الا تسكت وتخشع » ! ؟

ونظراتها تقع على نظراته المهمومة وأشجانه تلمع بـ عبرات
خجلى في عينيه لا تغادرها .. التاع احساسها وانفطر قلبها
وماجت فيها أمومتها .. تود لو أراحت هذا الطفل الكبير على
صدرها ! اغاقت عليه يحدثها : لك ان تتخيلى أى وحدة مرعبة
اموت نبيها .. لا قلب يحس بى .. ولا مخلوق يدنو من سجنى
هذا .. اظل هاجعا ساعات .. واموت دهورا .. لا ادري افر
من اين .. الى اين ؟ ! كدت اجن .. اكره كل شىء .. احيا ..
ولا احيا ! .. حتى التقينا .. وددت الا تنتهى الاوراق !! وان
تبقى آمادا .. أقسم لك انى ولدت بين يديك .. غيرت كل شىء ..
وجمعت أشياء .. وقد تصالحت روحى معى بعد طول قطيعة ..
وكأنى مدينة مفككة توحدت على يدك .. اتوسل اليك واستحلفك
بعينيك الا تتركينى !! .

انطلقت عبراته غزيرة كغيث حار جاء بعد طول جفاف يمزج
احساسه الدفين بالهجر .. وتشبثه بوجيدة .. ووقع كلماته
الصادقة عليه ! .. خفق قلب وجيدة واحترق الباقي من ثباتها ..
غضاسع تحفظها وتركته يحتضن يديها .. يقبلهما فيعيش
فيهما .

.. والعبرات عيون ماء تتفجر من عينيه .. ولا تنضب ..
تروى عطشها وتشعل دماءها وهمت ان تمسح عبراته ..
فاحتواها صدره بلهفة .. يخبئها .. ويختبئ فيها .. وعدوى

العبرات قد انتقلت اليها .. وزالزال يفجر بركاننا اختزن حممه
لتنطوى الحمامة الوديعه تحت جناحا مصطفىا .. و يذوبا !

ولا تدري كم دهور مرت .. ام هي لحظات حتى عادا
للحياة .. ومصطفى بجانبها آبار وبراكين تفجرت قشرتها
لتلقى بها فى محيط جارف .. واعصاره الهادر يسعدها ! .. تلقته
بحرمان سنين جدياء ... ارضها بلا ثمار حتى ذاقت وانتشت
وارتوت بحمم لا تود لها فراقا .

سكنت العاصفة الى حين .. فخبا خجلها بعض جسدها
الذى كان للحظات يرتدى السفور ! .. يدها تلملم شعرها
الذى لا يود .. وتحكم استار جسدها الذى لا يريد !

انطلقت خفيفة تهرب من نفسها بالاغتسال .. فقد تسترد
وعينا .. وتثوب لرشدتها ! .. لكن هيهات لفرسة جامحة ..
ذاقت حلاوة الانطلاق ان ترضى صاغرة باللجام والثبات !

اما مصطفى الحائر ابدا .. بين اقنعتة ودواخله .. نظراته
القلقة تتجاذب افكاره .

يسأل نفسه : ماذا تريدان يا رعناء ؟؟ .. للحظات
مضت كنت تموتين .. تحترقين وتريها عندنا .. معنا ! والان
اراك تريدان الفرار .. الا تخجلين وتنسجين ؟ ! .. اما كفانا
هروبا .. وانقساما وزيفا ؟ .. اما تعبتي ؟ .. لقد اعيانى الملل
والاجهاد من رغبتك المأفونة .. بربك قولى كلاما نصدقه معا !
عالى وأريج الحشائش والزهور .. ورشف النور ويود البحر
فى الشروق اتجشئ على حريتنا ! ؟ اما شبعنا فوضى وحرية ! ؟

مع وجيدة الدنيا أجمل ٠٠ وأبهى وأعبق ! ٠٠ لن تسربلنا
 القيود ٠٠ فهي مثانا تحبنا فلا تدعينا نفقدها ٠٠ وحسرة
 العمر تطوينا ٠٠ صدقيني ليست نزوة ٠٠ أو لعبة ألهو بها
 الى حين ! ٠٠ ما عادت اللعبة عائقا يرديني ٠٠ لقد تحررت من
 كل هذا ٠٠ تحررت من أبى ٠٠ داخلى ومن حرمان طفولتى
 للهوها البرىء ٠٠ وسيطرته لينفذ فى احلامه ومن سيرة العظماء
 السالفين ! ٠٠ تحررت من خجل غريزى لازمنى عمرى ومن
 صمتى وخنوعى ! ٠٠ لقد جاريت ابى ٠٠ بل جاريت العالم !!
 كله يود منى ٠٠ ولم يسألونى ماذا اود انا ؟؟ ! ٠

عبثت ٠٠ واستمرات اللعبة سخرت من الجميع أبى
 وأسأتذتى ٠٠ حتى من الذين ارادوا استغلالى ! ٠٠ عشت
 هذا العبث عندما كان عقدى ٠٠ لا ٠٠ لا تقولين انى سياتمرد
 واعاود لعبة الاقنعة ٠٥ ولن اتحسر ٠٠ أو اقلب الموائد فوق
 الرؤوس صدقيني شفيت ٠٠ وجدت ضالتي ٠٠ دنيتى ٠٠
 دعينا نتوحد يا انقسامية ٠٠ نجمع اشلاء مصطفى المسكين !
 « اراك قد خرس الان ٠٠ بعد أن طاشت الحجج !! »

٠٠٠ هب مصطفى من رقده وقد دبّت الحرارة والجرأة
 فى خطواته متجها الى الحمام ليغتسل ٠٠ مد يده الى الباب ٠٠
 لم يكن موصدا عندما فتحه ٠٠ لكنه سمع شهقه عالية اطلقتها
 وجيدته ٠٠ فاسرع بحرص ولهفة يخلق الباب ٠٠ ويفتح صفحة
 جديدة ! ٠٠

ولكن تبقى أشياء . . .

رن الهاتف رنيناً عالياً . . . يصم سمع الليل ويرجف الاجداث
فى قبورها . . . فجذبنى من أعز غفلة ونومة غرقت فيها . . .
بأصراره العنيد . . . أسقط فى يدي فقلت أجيبه . . . صدمنى
صوته الأمر . . . الأجراف . . . الخالى من الانفعال . . . وفى نبرات
قوية واضحة الخارج ويلهجة قاطعة ارتعدت لها كل ذرة فى
كيانى . . . نعى الى اخي التوأم . . . ألجمتنى ولفتنى الحجرة
والمفاجأة . . . كسمنى ذهولى فلم أدربم أجيبه . . . فألقى على مسامعى
وفزعى بيانه الرتيب تكررارا . . . تاركا اياى فى فراغ مبدو . . . وأنا
بين مصدق ملتاع ومستنكر يعزوه الامل . . . أن تكون مزحة
سخيفة من صديق غليظ المشاعر . . . اننى لم اتمكن حتى أن
أسأله من هو . . . وكيف علم بالفجيرة ؟ . . . كلماته المصفوفة
فى جوف ليلى أوغلت بى الى ظلام من صقيع غيبى . . . التفت
بشجونى . . . وعبرات لم استدعها تبلل ذقنى . . . ورعشة
مرهوبة الجوانب أيقظت بعضى من خشية الموت . . . انكمشت
لا أدرى - كيف أجابه تلك الامور . . . الشك فى ذهنى يغذيه
شيطانى ويتقاذفنى بريية . . . يسائلنى من أين أستقى النبأ ؟ .

ولم أختار الليل حتى يبالغنى بالخبر المشؤم . . . أو المزعوم ؟

.. آه يا أخى وتوأمى الغالى .. لقد تباعدنا منذ سنوات
لا تحصى .. أبحرت أنا فى دنياى وخنزوت ميسادينى وبعدت بيننا
المسافات .. والاتجاهات .. بينما غرقت أنت فى مثالياتك
ومؤلفاتك البائرة ! .. لكن هناك ابنته .. لقد أرانى أياها
يوما .. حلوة ناعمة .. نقية كأبيها .. لابد أن أتصل بها ..
ولكن أى كارثة أعيشها .. حتى عنوانه ضاع من ذاكرتى ..
وتبخر من أوراقى .. الا لعنة الله على هذه الذاكرة التى يتبدد منها
أغلى الامور .. ويمشش فيها التافه والغث المريب .. لم يبق
الا زوجتى ساوقظها من نومتها أسألها العنوان .. أغلب
الظن أنها لن ترحب بهذا .. وتظن بعقلى الضنون .. فهى تركية
الأصل ... تسفه كل أمورى وكلامى ..

أننى مكبل كالباطرة أتحرك على قضبان موسومة ..
وقد استمرأت هذا التبلد .. ولم أعد أعافه ! قداعياتى وإنهيارى
يحتلان مراكز اعصابى المشتتة منذ سماع نبأ الوفاة ليس أمامى
الا أن أرجىء الامر حتى الصباح .. ففى نوره تستبين الاشياء ..
وتتأكد الحقيقة .. لن أعدم وسيلة تحقق لى الاطمئنان .. حتى
أعود على قضباتى .. أنعم بسباتى وهنسائى المزعوم .. قفز
سؤال حقير إلى ذهنى .. ألى الحق فى وراثته .. فلم ينبج
الا فتاة ؟ .. شعرت بسخفى وضعتى .. هل أنا بحاجة الى
ميراث هذا المسكين الذى أغلب الظن بلا ميراث ؟؟ ..

... اتى الصباح على صليل المنبه هذه المرة .. فقامت وأدى
طقوس الصباح المعتادة .. وأبرح منزلى بذهن صاف من أى أمور
.. أما زوجتى التركية وبناتى منها .. فهن فى غفوتهن وأحلامهن
الليذة ؟ ..

... أنسقت فى ممارساتى لبعض أمور شركاتى
ومصانعى .. أدير شئون الأعمال وسط الترحيب الزائف
وكلمات متناثرة من اجانب ومصريين خالية المعنى .. خبيثة
المرمى .. ثم قطاعات المشروعات الحديثة قد التهمت الساعات ..
فتبخر اليوم .. قفلت عائدا الى بيتى .. لاصافح بوجه زوجتى
البارد الصارم .. وقد تغضنت تكشيرتها .. لا بد أن هناك
ما يزعجها وحتما يوجد ما يوترنى منها .. ولا تهنا حتى أجيبها
.. ثم لا يعجبها ما أقول أو يلقى استحسانا لديها كالمعتاد ..
فتنصرف عني وقد تجعدت تكشيرتها أكثر .. وطال بروزها
حتى استحال حاجزا للضحكة أو الابتسامة ! .. وعندما
أزحف الى قيلولتى تنهرنى .. وهى تخبرنى بقدوم اليك شقيقها
شريكى فى مصانع دمنهور .. ويأتى نورى بك وأستمع اليه
بنصف وعى .. ثم تنقشع زيارته المريبة التى لم أكتشف بعد
اهدافها .. وسى نورى هذا .. تربى فى فرنسا حتى استدعته
أخته من أحضان زوجته الفرنسية وحتى يصبح أولاده مصريون
بالميلاد .. يعنى كانت ناقصة ! ..

ويعود الليل .. وعندما أوى لفراشى .. تقفز ذاكرتى
الرعناء وتطلق على السطح نبيا وفاة شقيقى وتوأمى وأنزعج
لسهوى ويغلفنى الغيظ من اغفالى للهام من الامور .. فلسست
بالمجاهد الكريه الذى يتقاعس عن الواجب .. ومع من ؟ .. أقرب
الناس الى .. حتما سأعالج الامر غدا فى الصباح ! ..

وصحوت على صياح الغد .. ترانك أهوج متسرع ..
يطالبنى بسرعة الحضور الى الاسكندرية لضرورة ملحة ..
فهرعت أغادر البيت دون أفطار .. موصدا ورائى أسباب
السفر .. والافكار تنهينى وتغثال استقرارى فالاستفادة الفاضلة

حرمى الثانية • وهى فى ذات الوقت محاميتى الحسناء قد دهمت
بعريتها طفلة بريئة •• وكأنه ينقصنى بعض المصائب •• فالقلق
يسيطر على يداى وقدمائى •• وأنا أمسك بعجلة القيادة ••
ليتهم يتوصلون لاختراع عربة تقودنا بنفسها ! • ثم ماذا
لو انتشر النبأ وأعلنته الصحافة •• لا شك أنها ستكون
زفة ومن لا يشتري يتفرج •• وتصل الى زوجتى الجركسية
ليزداد بوزها طولا •

••• وصلت شقتى فى الاسكندرية وبهت للاستازة
حرمننا فى ثيابها •• هه ••••• دعنا نقول بلا ثياب وينطفى
حنقى •• وعينائى فى جولة جريئة بين بروزات السيدة حرمننا ••
التي اشبعتنى لثما واحضانا •• وبيدها الرخصة المتعجلة
دفعتنى الى الحمام •• وأصرت أن تقوم بإزالة آثار ضررتها
التركية عاقدة العزم ألا تنبس ببنت شفة حتى تنهى تدليكى ••
وتسترخى أعضائى •• كيف وأعصابى لا تشدد الا على
اناملها ومعها •• ثم كان ما لا بد له أن يكون ! •• والافطار
الملكى يتربع المائدة •• وهى تلقمنى •• بينانها الشقى المداعب
حتى صحت شهيتى لافتراش حجرة النوم •• فأبت بدلال
ينصب الجبال قامة وارتفاعا •• مترسلة ارجاء هذا •• حتى
أنهى الامور المستعجلة •• وعندما جاءها سؤالى الساذج عن
حادثتها والطفلة المضايقة •• ارتجت بروزاتها فى ضحك عطر
مفناج يفتح الشهية المسدودة •• وإقد كان الامر كله مجرد فرصة
اوصلتنى حتى بين يديها •• ثم تربعت على ساقى فى دلع لأمر
بعض اوراق شركتنا التي هى محاميتها أه كأم فى جعبتها من
قضايا متفجرة تستهوينى •• ولا أمل من فحصها •• تذكرت
وضحكت ورقصت حواجبى دون ارادة منى حينما تذكرت

الاستاذة وقد زفت نفسها الى بروب الحماماء بلا ثياب تحته ..
وفتحت الجلسة ! .. عفريته لذينة وخبيثة .. بعد عام من زواجنا
اكتشفت سرقات منمقة بصورة قانونية وراءها حنانى الحمامة ..
زوجتى فى نفس الوقت .. كانت تسرقنا .. وفى قعده أنس وفراش
غمزتها بملحوختى .. كيف تسرقين نفسك .. هذه الشركة ..
شركتك .. وفتحت فاه بلها ثم عاجلتنى بالاحضان والقبالات
لتدارى الكسوف .. وعندما انهيت توقيع كل الاوراق كطفل مطيع
ينتظر المكافأة .. القمتنى حلواها بسخاء .. الزمنى فراشها
والاسكندرية سبعة أيام بلياليها كأنها الفردوس .. حتى
جاءنى ما يستدعى عردتى للقاهرة .. ورجعت أنزع قدمائى
قسرا ! .. وفى حفاوة ألفت بدلو بارد على اعضائى .. لقيت
زوجتى التركية افتقار هانم بعينيها الحرساوتين وشفتيها
اللوامتين .. وبوزها العزيز بارك الله فيه .. وشعرت بحاجتى
الى طبيبى المعالج ليبحث عن أعصابى .. ولا أدري كيف نسيت
تماما فى بالوعة القاهرة وزوجتى الأولى نبأ وفاة أخى التوام ! ..
لم أمكث سوى بضعة أيام .. أيستدعيني هذه المرة شقيقها
نورى بك يطلبنى فى دمنهور .. وكفريقى .. وجدت قشيتى فتملصت
من السيدة بوز التى يحتاج القرب منها الى فرمان ومن
قاهرتى مبحرا .. الى بيتى الريفى الوريث بدمنهور احدى جنات
الله فى أرضه الواسعة وهناك كانت بنت العمدة .. زوجتى
المشلتته الناضجة بنار الشرن .. كانت فى انتظارى وما أن
نظرتنى حتى ترجمت نظراتى سريعا .. وعادت بالملس الفالسى
الناعم الدمقسى المتموج وأجلستنى فى احضانها كأنى ذكر
بط .. تلقمنى طعامها الريفى الدسم .. المنوع على معدتى
تناوله .. وعندما تخلصت من مائدتها الاولى .. أغدقت على

بمائدتها الخاصة واكتشفت ان تحت السقان مصائب وويلات
تقشعر لها أعتى الاعصاب وتفور .. ثم يديها البرابطين
تدلكان ساقاي وتعيد توزيع الانشطة بالتساوى فى كل بدنى
حتى يافوخى .. وأقوم الى مائدتها فاجدها احلى مذاق وأطيب
نكهة .. وفى اخلاص مدمر .. أخذت بتاوتى الدمنهورية تطعمنى
وتلاعبنى لعبتها المفضلة لعبة الديك والفرخة حتى انقذتنى
القاهرة هذه المرة من بين كلابتيها وتختها .. ولجأت الى
الطبيب الذى لامنى بشدة على ما وصلت اليه .. فاضطرت
صاغرا للرضوخ انواهيه وطبه وعلاجه .. لكن كما يبدو ان
معدتى واوصالى ما عادت تتحمل الدسم الدمنهورى .. او المياس
والبورى الاسكندرانى .. وخرجت من محنتى هذه وقد اكتفيت
بذكرى دمنهور والاسكندرية .. وطرد ذكرىات القاهرة التركية
.. اجتر أشجاني .. وعندها هبط من وراء حجب النسيان
ذكرى أخى المسكين .

يا الله .. كيف انسى هكذا احلى ما فى .. اترانا حين نلتقى
بعد عمر طويل لى طبعنا أتراه سيلومنى ؟ .. منذ لآى لم أبك ..
وكان نحيدى .. استمراته حتى كدت أن أغرق فيه .. شىء
ما قد نما .. يوقظ فى نفسى الرغبة فى الصلاة .. ولكنى
لا اصلى .. لا أملك وقتا لمثل تلك الامور .. لا بأس ساصلى
على روح شقيقى وأستغفر له ولنفسى .. وما آل اليه حالى
.. ثناقلت .. أحمل جبال الدنيا فوق كتفائى .. ساقاى
لا تقران على حملى ولكنى مصر على الصلاة هذه المرة ..
استعنت بيداى لاواصل الصلاة .. وكل عافيتى تخور وتبدد ..
حين لذت بفراشى اختلفت وتباينت مشاعرى .. فقد أصبحت أخف
جسدا وأسعد حالا .. وعادت العافية تدب فى عروقى فأزمعت أن

أواظب على الصلاة ففيها راحة حلوة اكتشفتها .. متعة خالصة ..
خاصة .. لم ألقها من قبل !

.. وعندما أخلدت للنوم .. زارني أخى فى رؤيا رقيقة ..
أبصرت سعادة بوجهه المرح يتوثب حيوية .. ثيابه تشرق
بالنظافة والنور .. لم يؤنبني أو يلومني .. بل ربت على كتفى
بلطف .. ثم احتضنني فى تراحم وود .. وامتألت بسعادة
خالصة واحساس الذنب الذى أثقل كاهلى قد ذاب .. وأمسكنا
كل بيد الآخر حين ترامى لسمعى ضربات قوية عفوية على باب
بيتى أطاحت بالحلم العذب الذى تناغمت معه .. عاودت الطرقات
العنيدة المصرة ضربها للباب وأصرارها على إيقاظى ..
وانفصلت عن فراشى لأرحم الباب .. فتخشبت فزعاً من
المفاجأة ... كان المرحوم أبى يسد فرجة الباب فى ثياب
عسكرية معفرة وسحنة غريبة لم أره بها من قبل وعندما فغرت
فأهى دهشة .. عاجلنى بكلماته الساخرة كعادته يتساءل : -
هل باغتك حضورى يا ولد ؟ .. لقد أرسلت لك بوفاة توأمك ..
.. ألم تفهم ! ؟ .. كالمعتاد لم تفهم ! .. حان اصطحابى لك هذه
المرة .. فهناك أمور خفية تستوجب حضورك معى ... أسرع
فالأمور تستدعى سرعة ملاقاتها .. ما لك تتامل .. لقد
أنذرتك ..

... سرت معه خجلاً أن أتفوه بكلمة .. هل أقول أن هناك
كثيراً من الأشياء تستحق منى البقاء - وأن المتعلقات وحقوق
الناس فى ذمتى لا زالت دفينية ؟ .. كنت بجانبه وأبصر وجهه
يتبدل وسحنته تنقلب وكأنى بصحبة قائد أسطورى ...
وتتملكنى حيرتى وتعصف بظنونى وأعود فأجد أبى قد عاد بوجهه
.. فأشحت بوجهى سائراً بلا عيون .. كما تعودت ..

المؤامرة !!

صبرت على حالى هذا ربحا من الزمان .. تسربت
فيه أحلى الاشياء .. لم يعد لدى تطلعات ... أو طموحات ..
وما عدت والزمن نأبه لبعضنا الآخر .. فلا تغرينى توافه أموره
من أيام وشهور .. وتلاحق أحداث .. ولا هو يحتسبني فى
بؤرة اهتمامه .. أو .. لى وجود ! .. شجوني المكتومه ..
تباريح مكبوته فى جوف بوتقه تغلى وتفور .. خبثها يعلو ..
ليسقط فيها .. وتتآكل الجدران .. وتتسع الثقوب .. بعد
أن طفع الكيل .. وفاض التنور ! .. أغمضت عيني تظاهرا
بالنوم .. لاستريح من السبات ولجأته وفرض سلطانه على
قسرا .. وقد افترشت منامتي التى اصطنعتها لنفسى ناجيا
من زوجة تهيم وجدا بالنكد .. ولا تبخل بأى جهد حتى يعم
الأشخاص والجدران .. ولو أتيح لها لأقامت مظلة نكدها على
مصرنا المحروسة ! .. جاءنى القط بيسو يتشمم فرشتى ..
ثم أشاح عنها بوجهه .. حينما رأها لا تختلف عن منامته
كثيرا .. وأغلب الظن أنه أحس بارتياح .. فقد أسليه وإن
بقيت عنده نظرات تساؤل تدور وتبحث عن أسباب ارتضائي
النوم هنا .. ولجواره ؟ .. وابتمت له هامسا : لقد هربت

بجلدى من برائتهم ! ٠٠ فأشباح بوجهه عنى مغمضاً عيذه حتى
لا يقع فى جدل لا طائل منه ٠٠ عدت أقام قطننا الرومى
« بيسر » ٠٠٠ هذا الدنف ٠٠ الناعس ٠٠ بفرائه العجيب البياض
٠٠ والذي يحظى باهتمام الجميع ويستحبوا رضاه ٠٥
أو بعض اهتمامه ٠٠ أو يتوسلوا له بالطعام الشهى !! ٠٠
قفز لذهنى خاطر عريب ٠٠ نزع ٠٠ ماذا لو تبادلنا والاخ بيسو
المراکز والثياب ؟ ! أندس فى فروته ويحتل هو جسدى وثيابى
يرتفع فيها ؟ ! ٠٠ ولكن كيف السبيل الى اغرائه بهذه الصفة
الخاسرة له ؟ ! ٠٠

بدأت أجرب حظى عنده فتخاطبت أرواحنا ٠٠ شارحا
رهمى ٠٠ ورغبتى فى التغيير والتبديل ٠٠ ومحاسن ٠٠ تبادلنا
هذا ٠٠ وان الأرواح كم لبست العديد من أجسام القطط ٠٠
وغاش الجميع فى وثام وسلام ! كل هذا لم يشفع له بالموافقة
على الفكرة ٠٠ فذكرته بأيادى البيضاء عليه ٠٠ والدفاع عنه ٠٠
عندزوجتى و ٠٠ و ٠٠ وحتى يحسم الأمر خجلا من سابق كرمى
عليه ٠٠ تنازل بالموافقة متأففا ! وأسرعت أنا اليه متعجلا أدلى
الى فروته ثم جسده الرقيق ٠٠ المحدود ٠٠ وانتقل هو الى
جسدى الممدد ٠٠ الأجوف ليشفغره ٠٠ صبرت وقتا حتى
اعتدت على جسده الصغير وقد شعرت بالاختناق بادئ
الأمر ثم اعتدته ! ٠٠

سمعت تنهيدة ارتياح بيسو فى جسدى ٠٠ فتسللت
من جواره ٠٠ أمارس العمل بالجسد الجديد ومدى امكانياته ٠٠
ولعجبى استطعت أن أنفذ به من باب منزلنا المعلق - وسط وجوم
ودهشة وتساؤل ٠٠ ابتلعتهم لأرى ما وراء هذا ! ٠٠ وقفت خارج

شقتى فى ظلام عميق .. ولكن عيني الجديدتين اتاحتا لى رؤية
مصايبىح أو عيون أخرى .. تبينت وسطهما السيد حبظلم
والد القط بيسو .. كان يعتلى سور الدرايزين بجسده الضخم
وشاربه الكث الفخيم .. وذيله المنقوش .. ألقى على نظراته ثم
أرسل طاقتى أنفه فى ثرى يتشممنى .. وفى تؤدة خالية من
الانفعال سألنى بحكمة السنين : لم فعلت هذا وغيرت جلدك ؟ ..
ومن أنت فى الأصل ؟ .. أما كان حرى بك الاكتفاء بما أعطاك
الله ؟ ان اختلاط الأثواب .. والتناسخ .. قد يفضى الى كارثة ..
ان لم تحكمه القوانين ! ..

ومن خلال انبهارى ودهشتى لما توصل اليه وكيف أن
الامور وظواهرها لم تخدعه كما تلبس علينا معشر الادميين !
.. أجيبته وشرحت أسبابى .. وضيقى من حدودية هذا الجسد
.. وولعى بالانطلاق .. والفرجه ! ..

فأجابنى مشفقاً : الأرواح ياسيدى مصايبىح .. بعضها
باهر الضوء .. تفرحك أنواره .. وبعضها شابت أنواره
عوالق ووهام .. تظل عالقة به فلا تستبين بجلاء رونقه ولا تتلذذ
بضياؤه .. وبعض ثالث .. مصايبىح صدأت وتكالبت المادة
عليها فكستها جلود القماسيخ .. أو وحيد القرن ! فهى
مطموسة لا تبصر .. كما ترى .. قد تكون أوسع العيون
بأقلها ابصاراً ! .. دعنا لا نستطرد فى فلسفة عويصة ..
رمالها تبتلع من يجازف بالخوض فيها .. المشكله ليست فى
الرداء .. بل فى الأردية التى نخط عليها أجسادنا وعقولنا ..
كل ما أدركته بأحساسى القططى .. ان الله خلقنى لسبب
وفائدة ما .. قد نطهر الارض من خبيثها وحشراتها ..
وجردانها .. وقد نهدي الخلائق للخير .. وقد يستخدمنا

أشراككم في حرق محاصيل .. وتدمير نباتات حقل .. وقد
نؤنس وحدة بعضكم .. أو تتباهو بنا وتزينا .. وبعضكم
يتظاهر عن طريقنا بأنهم حماة للضعيف .. ويذا للمحتاج ..
إننا لا نتجاوز حدودنا .. ولا نمتلك تطلعاتكم المدمرة .. أو
الخبثية .. نؤدى الرسالة .. ونرحل فى هدوء .. فهل سألت
ذاتك يوما ماذا فعلت بما أعطيت .. وأين كان العيب الذى يدفعك
للهرب أو فيك .. أم فى الناس : ؟ الأولى بك العودة لردائك ..
فستلقى متاعب لا قبل لك بها !

لكن الحماسة التى أمثلتها منذ الصغر وكبرت معي ..
لم أتخل عنها ودفعتنى أن أستمرو ولو لحين ! .. أكملت انحدارى
للسلم حتى تلقانى الطريق .. وكنت أحسبه فى هذه الساعة
خاليا .. إلا أن عشرات العيون أخذت ترمقنى .. وقد تبسّيت
مراميها .. وإن اجتمعت على جس النبض .. ثم اللجوء للتأديب
.. وبجهازى الخاص الجديد شعرت بنذر الخطر .. فوجدتنى
أتسلق السلم بسرعة أعصار وأندفاعه .. ورمقنى الأب
حبظلم باشفاق ورشقنى بكلماته الساخرة : أما قلت لك ؟ ..
هذه بعض مشاكل التبادل الجسدى المزعوم .

ولجت شققتنا بنفس الأسلوب الغامض .. لأجدنى ..
أسف .. لأجد بيسو راقدا بجسده لم يتحرك .. وبغثة التقطت
أذانى حيث أقدام تبينتها فى الظلام وكانت لنجلى الأكبر .. ووجهته
المطبخ حيث ترقد شغالتنا « فكية » .. دلف من الباب وأنا
فى أعقابى .. لم يشعر بى .. وعندما حاذى فرشاة فكية المكتظة
بشئى صنوف الفاكهة .. لذيذا .. وناضجها .. أنحنى
عليها يلتهمها فى زفيف ناهم مخلص دون خشية عنده أو ممانعة
منها .. فبتنا وفضولى فى وضع لا نحسد عليه وفى انكباب يحسد
عليه لم أره طوال دراسته .. التهمها .. ملاقيا ترحيبها واستجابتها

المتناهية ! ٠٠ كانت غفلة عن عيوني الزائغة ٠٠ ولما انزاح عنها
ضبطتني ٠٠ وفي ضحكة مكتومة نبيهته لوجودي ٠٠ ولم آبه
له ٠٠ فقد استجمعت شجاعتي واطنأ جسدها بأقدامى
القطيطيه الى خدها الكلثومي الحسه ! ٠٠ واذا بدفعة غادرة تطيح
بى وتكاد تودى بحياتى وهو يفح : آه يابيسو الكلب ٠٠ حتى
فى هذا ٠٠ فى ركابى ٠٠

ولولت ألما ٠٠ وجرجرت ساقى ٠٠ والذل والمهانة قد
خزينتى ٠٠ لكن يد فتية الحانية ربت على وكنوزها ما زالت
مشاعا ففضضت بصرا لم تقيده الحملقة ان لم تؤذه ٠٠ وعلى غرة
انقلب كل شيء ٠٠ الأضواء فى كل مكان ٠٠ وانشق عن زوجتى
الهادرة ٠٠ رأت كل شيء ٠٠ فجنت ثائرتها ٠٠ وعاجلت ابنها بلكمة
خطافية قاضية ٠٠ وانتبهت الى فكية تواليها بركلات عفوية
متلاطمة من عاشقة لبرامج المصارعة الحرة ٠٠ وكان لسانها
سريع الطلقات قد انهال بما تحمر له حتى وجوه القطط ٠٠
جرت ابنتاي لتابعة الأحداث ٠٠ فنهرتهما زوجتى ليلوذا بالفرار
٠٠ فيما يبدو فان زوجتى استتاده علم النكد والغم ٠٠ قد جردت
حملتها التأديبية فى أثرى لكن قالها خاب ٠٠ وتحطم على يد الفحل
الغبي ابنها ٠٠ فاندسرت مهزومة الغليل ٠٠ مصدومة الآمال
الى فرشتى ٠٠ وكنت أثناء الهوجة قد ابتعدت عن مناطق
نفوذها التراشقية ٠٠ وأبصرت أقدامها بجانب ذيلى ٠٠ وارتعدت
خشية اكتشافها للأمر ٠٠ بما لها من منخار مدرب تحسدها
عليها أعتى صنوف القطط والكلاب ! ٠٠ رمقت جثمباني المسجى
٠٠ ثم هزتنى بلا جدوى ٠٠٠ وقلبت شفقتها بهمهمة « نومة أهل
الكهف » تقدمت ابنتى الكبرى هى الاخرى ٠٠ ثم ابنتى الصغرى
الطالبة بكلية الطب وندت عنها صرخة مكتومة قائلة : القلب ضرباته
ضعيفة ٠٠ والنبض ايضا ٠٠ لا بد من طبيب ٠٠ وانطلقت الى

ردائها تلبسه .. لتستدعى الطبيب .. بينما بذت الكبرى
مستاءة الوجه .. ويبدو أن حساباتها الخاصة قد ارتبكت ..
خاطر سخيף قفز لذهنى أكل هذا الاهتمام لابيهم ؟ أم لأن
بيسى سكتن جسدى ؟ وعندما طردت الهاجس كانت ابنتى قد
عادت يصحبها طبيب شاب أخذ يطمئن على النبض فور وصوله ..
ثم أخرج سماعته ليستمع لدقات القلب .. والتفت لابنتى يطمئنه
قائلا : النبض غير عادى .. والقلب أيضا غير طبيعى .. وأتى
كبدى وقد ارتدى ثيابه متطوعا فى احضار الدواء .. يا سبحان الله ..
يشئ أن الشيخ بيسى سره عميق ! ..

وكان الطبيب قد أهمل جسدى والتفت الى ابنتى زميلته
يطمئئنها ويربت عليها .. لتتزلق يده الى مؤخرتها يطمئنها هى
الأخرى .. عندئذ قمت أجرب أسناني القطيطة وعضضته فى
ساقه عضه غبية جعلت صراخه يملأ المكان من روعة الألم ..
بينما الساندة ابنتى تطيب خاطره بقولها : لابد أنك وطأت
ذيله .. لا تخشاه فهو سليم البدن ! .. ورمقتنى بلوم زاجر ..
أما زوجتى فقد بادرت تستغل الظروف قائلة : يستحسن يا دكتور
.. ولا بد من أخذ الحقن .. فهو يلزم زوجى كثيرا .. ولا استبعد
أن يكون قد أصابه السعار ! ! ..

عائبت ابنتاي أمهما لطعنهما فى قطعهما المدلل والمسخرية ..
لم يعاتباهما على طعنهما وتجريحهما أياهما ! المهم أن الطبيب
البصباح أثر السلامة وانطلق يجرى تاركا المنزل بينما ضحكات
زوجتى الهستيرية تطارده ..

أتى ابنى بالدواء .. وجلس بجانب جسدى يربت عليه
قائلا : لا بأس عنك يا أبى ! .. وعندما قامت الطبيبة ابنتى بإعطاء

الدرء لبيسو الزابض في جسدي .. حاول الهرب خاصة
 عند اعطائه الحقنه .. وانفض السامر على تعليق زوجتي ..
 لا تخشوا عليه انه يسبع ارواح ! .. ولكني لمحت نظرة عطف
 جديدة رمقت بهما جسدي .. وحين خلا المكان انتفض ببسو
 معترضا : يا سيدي .. ان استمر في جسدي بعد كل ما حدث
 ثم ماذا فعلت بالطبيب على حساب سمعتي ؟ .. ضحكت اهدى
 من انفعاله شارجا له اسباب تصرفاتي مع الطبيب .. وعندها
 انتابته ضحكات .. هي مزيج من مواء القطط .. وضحكات
 الادميين قائلا : يا سيدي .. ان الطبيب زميل لابنتك .. وبينهما
 ما يفوق هذا بكثير .. انهما متحابان .. ارجوك .. اربط جاشك
 .. فسيتري من الاوضاع هذه .. الكثير .. نعالجها بالكياسة
 .. ولا احسبك تبغي الطرد ان تعددت رجوتك .. خذ نصيحتي ..
 حذار من فكية .. فهي المحرك والمتصرف في شئون ابنائك ..
 ولا تحسب ان زوجتك ستأبه لما رآته بينها وبين نجلك .. طالما
 انت لست طرفا فيه ..

.. سيدي اما حان لكل منا أن يعاود جسده .. قبل
 أن تستفحل الامور .. قل لي بربك كيف اتصرف اذا اصرت
 زوجتك على اصطحابي لحجرتكما ؟ .. او جاءت لفرشتي ونامت
 بجواري ؟ ..

فضحكت ساخرا : يا ببسو .. انت تعرفها جيدا ..
 انها صعيدية العقل .. صرفت نفسها عن العشق الا الهوى
 والحب في النكد .. والمناحه ! .. فلا تخش تلك الامور البعيدة
 بعد الكواكب والنجوم ..

مع شمس اليوم التالي .. تمطيت متكاسلا .. وقد
 قرصني الجوع فهرعت الى فكية الاضيق ساقها المملجة

كما يفعل معشر القلط .. ففهمت وأخذت تلاطفنى وسارعت
بطعام لى لم أستسغه .. أخذت أتشممه .. ثم ازدردته على
مضض .. وقد تباعدت عن هذه الفكية عملا بنصيحة الفيلسوف
الوالد حىظلم .. أتت ابنتى الطيبية تحمل خطابها سرعان
ما دسته فى صدر فكية ثم عاجلتها بنفحة مالية قبلتها فكية
بتعفف ظاهر .. إلا أنها نشطت على أثرها الى شقة طبيب
الأمس وأنا معها كظلمها .. وعلى طرقات فكية اللعوب انفرج
الباب عن طبيبنا البصباح بثيابه الداخلية .. وفى صفاقة وبلا
حياء .. أدخلها وأنا معها .. ألقت الخطاب وابتسامتها توحى
الكثير .. وبدى فى شكل ممثل فكاهى .. عندما .. أبصرنى
وصرخ فيها : لم آتيت بالزفت أما لكفانا عضته الأمس ! ..
وهو يتحاشانى .. واستطرد ممسكًا بساقه « موضع
العضة لا زالت تؤلمنى .. » وانخنت فكية .. فتكورت مؤخرتها
بشكل مفضوح قائلا : فىن « الواوا » قبوسه ؟

وعندما رآها على هذه الصورة قال لها : تعالى فهناك
أشياء أهم .. انسأقت فكية معه الى حين وهى تبدى رفضها
الموافق .. بصوت متكسر الغنات : فلنؤجلها لفرصة ثانية
يا دكتور ! .. إلا أنها فى ومضة عين كانت تتمرغ فى أحضانه ..
كحية التقت وثعبانها المتفضل يمتصان رحيق المجون .. استشطت
غضبا .. وبادرت التقط الخطاب وهما فى اشتباكهما .. بارحت
شقة الطبيب بوسيلتى الغامضة ، وبغى قدمت الخطاب لابنتى ..
التي تصنمت برهة لرؤياه .. ثم هرعت تغلى .. وعلى ضرباتها
لشقة الحبيب الخائن انفرج الباب .. واندفعت بغضبتها لترى
فكية عارية حتى من ورقة التوت .. استجمعت عنقوانها فى
بصقه .. والتوت تبكى بمرارة عائدة لامها تقص عليها الامر ..

احتضنتها زوجتى تهديء من روعها وتواسيها قائلة : هذه الزفتة
قطعت عيشها بيديها عندنا !! ..

انتابتنى سعادة بالغة فلاول مرة أقدم لاولادى بعض اهتمامى
.. بينما ابنى بغیظه قد تلقى النبأ ويصر على اسنانه
سادرا فى غيه هامسا : خطفها منى ابن اللئيمة .. دكتور
الزفت !!

.. فى غداة يومى الثالث .. وقعت الواقعة تسالت زوجتى
لفرشة القط بيسو والذى يتضجع بجسدى وقامت بملاصقته
وتمسحت به .. وبين أقصى آيات ذهولى وحيرتى .. فاضت
بعواطفها .. فقبلت الرأس بتبتل ثم الوجنات .. والأدهى من
هذا انها استكانت لكتفى السابقين تسأله الرأى والمشورة !

.. يا ربى .. أهذه من علامات الساعة ؟ ا ففى لم تقدم
معى طوال حياتها على هذا الشوق المفضوح .. وفى شك
يمزقنى .. أو كنت فى جسدى .. أكانت جرت الى .. واسقتنى
حنانها ؟ !! ..

لقد همت به فى شبق مكشوف .. لتستحيل بذاتها
العالية المفعمة بالخطرسة .. الى نعومة دافئة حنونة !! ويبدو
ان هياجى بات مزعجا .. فلقد التفتت اليه تستأذنه فى اطلاقى
خارج الشقة حتى تستكمل معه وصلة الغرام والتناجى ! ..
ويبد قوية حازمة امسكتنى لتطلقنى الى السلم ومن خلال
هياجى وغيرتى المغتاطة .. ابصرت بالاب حبظلم فى جلسته
فوق السور .. لجأت اليه لاقص عليه الامر .. فوجدت فى بئر
عيزيه الخبر بأكمله .. وفى اشفاق يؤلمنى قال : يا سيدى لقد

حذرتك من مغبة هذه اللعبة .. وربال العاقبة .. ما علينا وهون عليك .. فعما قليل سينتهي الامر بزمته ! .. ران الصامت للحظات .. أعقبها صرخة زوجتى .. وباغتتنى الصرخة .

فقال حىظلم : دعنا نقول الآن أن الأمر قد انتهى .. بوفاة من اقترض جسدك .. وانك الآن فى عداد الاموات !! هلعت مصعوقا اصرخ .. ولكنى مازلت حيا .. ولن اترك الامر يتسرب من يدي .. سأثبت وجودي وأفسد هذه المؤامرة .. اندفعت بعنف لأقتحم الباب الموصد .. وارتطمت بخشبه الاجسم .. فما عدت انفذ كسابق عهدي من الاشياء .. والتفت لأرى مكان حىظلم أضحى شاغرا .. ترنحت بذهولى بالقرب من سلة المهملات .. وعبرأتى قد أخفت عنى المرثيات .. بعد أن ضاع حقا كل شيء .

بشر العوارم

.. اختبرق الشرنوبى بك عارف حديقة قصره ! ...
يخب فى جلبابه الفاخر القشيب .. خطواته المتتدة الثقيلة تدك
الارض .. تعرفها حبات رمال الممشى اليم المعرفة .. وأن
تعطر المكان ويضوع أريج وروده بالخط شتى الازهار .. والأشجار
الحوامل الممتلئة بثمارها .. والطيور الناعسة المتخمة وقد خمد
سندحها الا أن كل هذا لم يلفت أنظار الشرنوبى .. أو يجذب
أنفه .. لانها خرجت من غوص اهتماماته ويكفى كل هؤلاء أن
سمح لهم بالتعلى بطلعته .. وبقامته الشارقة الممتلئة .. المزهوة
بفحولة صاحبها والتي تبرز عجوله .. وكل مواشيه ..

... انتصب عم ذنون بالتجية .. الا أن الشرنوبى رمله
بنظرة سخرية متوكمة .. حار الرجل فى تفسيرها على مدى
سنين خدمته .. وفى مشية الوائقين ولج الشرنوبى عربته
الفارسة المكيفة الحمراء .. التى تحملت على مضض ثقل
حاحبها .. والذى أخذ يمشط باهتمام شاربه الكث ..
المتد تحت أرنبة أنفه الفارشة لواءها .. والشارب كأنه خط
ثقيل لكلمة شديدة الأهمية .. وتكتمل اللوحة بخديه اللحيمين ..
وزقنه العريضة المصدغة .. وجبينه الضيق المتعارج خطوطه ..

ثم عيون البقر وقد علاها حاجبيه المتصلان .. سيربالية مبهمة
.. لا تدري كيف اجتمعت بتنافرها الغامض المرامي .. ودلالاتها
المحيرة .. فلا تدري كيف تصنف الرجل .. أو تحكيه ..

أدار الشرنوبى موسيقى انسابت ناعمة .. فلكز
عريته لتعوى خارقة طريقها بفجور وغطرسة .. إلا أنها اضطرت
للقوف كتفا بكتف وعريته يجرها حمار هزيل شاخت خطواته
كصاحبه الظهل القميص .. الذى اعتلاها .. مخلفا خلفه أقراص
روث البهائم رصت هرميا بعناية ومهارة .. وإن تقززت من
رائحتها الأنوف المجاورة .. إلا أن الرجل قد اعتادها ولم تشكل
لديه أى امتعاض أو ضيق .. انقلب كيان الشرنوبى ..
وغاضت ابتسامته لمراى العربة .. كأن سربا من النحل قد
هاجمه ولسعه من قفاه .. ليتدحرج من برج أحاط به نفسه
وظفحت ابتسامة يؤس غريبة على صفحة وجهه .. فقد رأى
فى الرجل الهرم المستكين أمام أقراص الجلة .. أباه .. بسحنته
ومهنته .. بل حتى العربة لا يدري ! .. وطوحته الذكريات المنحنى
آخر زميله ذنون فى الدراسة .. والذى تفنن بسادية قاسية
وتهكم زاعق منفر .. ووصفه بتاجر الجلة .. والضحكات
المستهجنة .. والزفة تحيطه من الزملاء لا يملك إلا أن يقابلها
بصمت غريق .. وفم محشو بصير مجرم .. يلف حلقه وعندما
يزداد ضيقه .. وترتفع المرارة الى شعيرات يا فوخه يلجأ الى
عراك فاشل يجرجر بعدها فلوله مسحول الشخصية مستضعفا
مهانا .. انعدمت حيلته .

وضاق صدره أخيرا .. ليهرب من مدرسة .. خذله
وجهها الصفيق .. ومن بيته أساس نكبته .. وأب يحملته
ما عجز عن مجابته من أمور .. ومن دنيا أعطته ظهرها قرفا
منه ..

.. وانحدر بهروبه الى الأسوأ .. الى حياة البالوعات ..
لينكفىء على طفحها يغوصه ويتشرب فيضه متكحلاً بقيحها ..
ووقف يبارز طواحين هواه .. وشحنة الدّراهم والغلظة تزار
من كل كيانه .. وتحتل بؤرة اهتمامه .. فلا تهادنه النفس
ولا ترتدع الطموحات !

أطلق شرطي المرور الصفارة .. فأيقظت الشرنوبى من
ذهوله .. ليتحرك رتل السيارات الرابض خلفه .. ويركض
لا يلوى .. هاربا من اعتلاجات داهمته على غير موعد .. وحين
اختلت عربته بنفسها كانت وجهتها الضيعة ..

انتقى موسيقى صاخبة الايقاع .. فحشرج صوته ..
يفتعل المرح .. وأصابه تنقر على لوحة العربة .. بينما
جسده يتمايل فى حلبة زار .. وعقيرته الخربة .. تتدفق نواعيرها
على الطريق .. دهم صوته عربة بيضاء فى لون صاحبيتها ..
تمطيها حسناء .. ضحكت فى استغراق وقد أشاحت بيدها
علامة على خبله .. وحين رآها .. شهق بصوت مدهول ..
أميرة .. لكن العربة قرت منه .. تراحمات متسائلة عقرت
خياله .. أحقا كانت أميرة .. أم هى مداعبات يسوقها القدر
تداعا اليوم .. وكتم الموسيقى .. أميرة ؟ ! ياه كم حدث
عنك ؟ .. ومن لا يعيه عادت الى عقله عادت بصفائرها بثيابها
النظيفة .. حبة القاب وعطر الروح البائسة .. يترجرج صدرها
الناهد .. وطلعتها الأسيرة تطأ قلوبا .. وتأسر عيوننا
وأرواح .. بيضاء أشرقت فى حلقة حياته المكفهرة الغاربة ..
كانضر ما رآته العيون .. كتلوج فى قمم الرواسى .. وعطرها
.. ولون خديها الأسيلين فى شفافية ترى الدماء تسرى

أمامك .. وشعرها الكسثنائي المتموج يعصف به .. إذا
 تمايل .. وإذا تطاير مع هبات النسيم فتنة تغيظ واقعته الكسيف
 .. وتخلج قصور خياله الماحصر .. وأضحى الحسن
 كله أميرة .. فلا يبصر غيرها .. ولا تهفو حواسه لسواها ..
 ولكن أميرة .. هل بادلته .. ولو حتى التفاته .. أو طرفه عين ؟ ..
 كل ما قذفته به فى يوم منحوس الطالع .. نظيرة مشمزة ..
 تحمل اشمئناطا وتقززا .. كأنها جابهت صندوق قمامة ..
 مهمل .. تقاعس أصحابه عن تنظيفه لسنوات ! وهو ياليتها فى
 هذا اليوم المنحوس كان موعودا .. أشبه بمسلة للهوان أقاموها
 ليصقوا عليها .. ضغط على شبك يطرد الذكرى التى انغرست
 بنصلها .. لا تبرح كيانه .. واستحالت كل النساء أميرة ..
 واستباح أميرات من صنع شهواته .. ولكن حتى السراب
 يعوى منفرا منه .. والريح تضحك وهى تفر من أصابعه ..
 لجأ هذه المرة الى حيلة بارعة يطرد بها الذكرى الخائبة ..
 أخرج من جعبته ذكرى حلوة .. عندما توسطت خياله ..
 ضحك لها طربا .. توجه لشراء قصر منيف يملكه واحد من
 عليه القوم وأعرقهم .. فأطلق العنان لنذاراته تنهش نفائس القصر
 والأنبيار المحشود بالحسد .. يفضح جوعة مسعورة
 انبلجت داخله .. فلم يدرك أن زنبقة تمشى .. تسابق عبيرها ..
 انتصبت أمامه .. تتغذى بلوحة وجهه المهوشة الشاعر ..
 وابتسامتها الطيبة .. بطاقة ملائكية ودعوة للبشر « لم لا تنبذوا
 التناحر » وتعقدوا سلاما مع الدنيا ومع أنفسكم ؟ أبصرها
 أخيرا ففقر قاهه المجهور لتصبح اللوحة أكثر انفتاحا .. ولم
 تسعه أى كلمات الا حشجة يائسة ! .. أدركت حاله ..

فانبثقت ضحكاتها الجزلة البريئة .. وأشارت عليه بالجلوس .. فجانبه الصواب .. وأين هو من الصواب ؟ .. ليجلس على الهواء .. تفرقت ضحكاتها الصافية .. بليلة صادفها الأليف « وأى أليف ذكر حنش يبتلع كل ما يصادفه » ! .. أتى والدها ولمس انسجامها مع المتنافرات الشرنوبية ولم يبد اعتراضا .. ليقترن الشرنوبى بالمقصير وصاحبته ويقفز مضحك الملوك .. ويفترش العرش هو نفسه لا يدرى كيف أسست قياده .. ونزعت أنيابه ؟ .. واغتبطت الذكريات حينما تذكر يوم أن ولج خدرها .. ولم يرض إلا بالجلوس عند قدميها بأنفاسه .. ببلايته .. بعيون البقر .. وأصابع الروث .. مدت له يدها البضة ليتبوا مقعده بجانبها .. فرفض متعللا أنها الأميرة وهو الرعية .. فضحكت هامسة : سأنزل عن عرشي يا مولاي .. وأجلس بجانبكم .. ما أنا إلا مريم .. هكذا اسمتنى أمى .. فلا تزيد أرجوك أى تسمية .. وهنا أخذ بقدميها يلثمهما .. وهى تمانع .. وهو البوذى المتبتل فى محراب معبوده .. يفترق البركات .. حتى كان ما كان ..

عاش عطرا فى جنتها .. يرضع الظهر .. وينسى المهانة .. وتندمل جروح .. والفيأة مظلة امتد وريفها بالعروش حتى فاجأته مريم وهى تودع الدنيا .. فارقته دون أن تعطيه وريثا واتشحت السراى بالسواد زمنا .. حتى اشتاقت « ريمة » للعنيتها ومخازيها القديمة .. سأله نفسه : (لم عدت تحاربنا) - والطواحين ذرتها الرياح .. والضياء زارت بمحبتها حياتك ؟

فأجاب .. ولكنى مصلوب لجذورى .. مسامير شهواتى نقيع تشربت مسامى .. سراب كلما طويته امتد ! ..

وعلائق بمسامير خرقتي .. ما عدت بشيرا ولا حيوانا أحسب
الظن أنى خرافة كالغول .. والعنقاء .. أو التنين !

... يا نفسى أنا حقيقة تطاردها أشباحها .. مالنا
والتناسف .. يكفينى عجولى وأقصى المرامى أن أكون منهم ! ..
وسطع على فكره الغارب مقولة له .. مع أحد زوجاته تسأله فى
دلال ما بالك تحملق فى قاع فنجانك ؟ فبادلها خبثها قائلا :
أنت تعلمين ولعى بالقيعان .. وانجذابى الفطرى لها .. من
فوهتها منبتى وأصلى وحكايتى .. ومنها كل مغنمى .. وفى
قاع فنجانى .. اقرأ البخت وأعرف المكتوب .. فضحكت فى
سبق تمكنه مما أراد ... أبدا لم يشبع .. وكل ما فى قبضته
تافه .. وخزته نفسه الساخطة .. يا كافر .. اشبع بما رزقت ..
فشيعها بسخرية فجرة يحذقها القوادون والعاشرات .. منذ
متى القناعة ثيابك !؟ .. قد تجيدين الأعيب التقوى مع آخرين ..
أما أنا وأنت .. فقد تفاهمت مشاربنا ... ولا تنسى أن عصاكى
دوما فى مؤخرتى لأصعد .. بربك اخلعى مسوح الأتقياء
والعازفين عن الدنيا .. ولنعرّف مع الزمرة فى ضيعتنا ..
اليوم عيد الحصاد .. نفترف الهوى .. ونمتص رحيق الزهور
كيفما شئنا ! .. ثم جنت خطواته وعريته فى سباق الوصول
الى الضيعة البادية مشارفها .. وانتصبت فيها قلعته ..
صارخة القوام والاجنحة وعيون زهوه وغطرسته تملأه فخارا ..
والبالون كاد أن يلمس النجوم ! .. وقف ببوابتها الموسومة
باسمه وزعيق العربية يجذب الجميع .. خب عم عارف الخفير
يهزول اليه ويفلج الباب على مصراعيه وقف له الشرنوبى
مداعبا : كيف حالك يا والدى .. ألن ترضى وتتنبأنى ؟ ... ولم
يسمع الجواب بل انفجر فى ضحكة خبيثة صمت أذناه عما

عداها ٠٠ والشيخ عارف يستعين في دخيلته من شياطين
الأنس والجن المجتمعة في صاحب الضيعة ٠٠ والشرنوبى
يصبص بعينه ويجرس بحثا عن أنيسة لفراشه ٠٠ استقامت
بعض النسوة تحديه ٠٠ ولكن كلهن قد سبق لهم عيادة وكره ٠٠
وهو يبحث عن الجديدة التى تغريها أطماعها ٠٠ أو يرميها
المصير !

ترجل وولج قلعته الشبيهة بقلعة العلويين ٠٠ وان كانت
أكثر احتكاما وأشد منعة فلم تقفز منها أى مملوكة شاردة حتى
الآن ٠٠ قوبل برهط من الوصيفات ٠٠ أشارت أختهن الى
غرفة المرايا ٠٠ التى صممها مجونه ودعارته لتكون أشمل
ما تكون لخبيث الأوضاع مزودة بكاميرات لالتقاط الصور
التذكارية لحواء الساقطة فى العرين ٠٠ الا أن الأسد هذه المرة
كان فحل جاموس ! ٠٠ فهم الشرنوبى غمزة الوصيفات ٠٠
واتجه الملهوف الجوعان ٠٠ لتقع عينيه على عود خيزران حبه
الطبيعة بأعواد الياسمين فتعانقا فى رقة تعلوها زهرة نرجس
أشرقت بالمكان وحين التقت بعينه شهقت واجفة القلب مرتعدة
السيقان والأنفاس ٠٠ فاقترب منها باشا لها محيطها بين
كلايتى ساعديه وبراعمها الصخرية الناتئة المتمردة توشك
أن تخرق صدره الهائج الأشعث الشعر . ودنا بشفتيه وفحاحة
يسألها من تكوينين ٠٠ يا أجمل نرجسة رأتها عيناي ؟ وأصابه
المدرية الخبيرة تربت على ظهرها فى دعوة مفتوحة ٠٠ وبالكاد
سمع تغريدها تقول خادمك أميرة ! فانقض يلتهم شفتيها ويجرع
ويعب من بحورها ٠٠ ولا يرتوى ٠٠ وأطلقها تلهث ٠٠ ممتقة
الوجه ٠٠ وقد خارت قواها ٠٠ ولو شاء لطحها فراشا ٠٠
والأصابع الذنبية فى جولاتها الجريئة تطوف كل الانحاء المحرمة

.. ثم يهمل بها وهو يسألها ابنة من ؟ .. وفي صعوبة بالغة
 أجابت : أبى الشيخ عارف خفير الضيعة انه لا يعرف بوجودى
 والا يقتلنى .. بعض النسوة شررن على باسم أميرة .. لانه
 يعجبك .. وصاحبه لها حظوة عندك .. ويده تكبش المحظور
 سألها : أما زلت عذراء ؟ فتخضب وجهها واستحال الى حبه
 طماطم ناضجة وهى تومىء بالايجاب ولم يطلقها من براثنه
 وقد لعت عيون شهوته وهى يلينها بكل حواسه ويسألها :
 هل تتزوجيننى يا أميرة ؟ .. واليامة تاهت .. ولا تدرك ما يخبئه
 لها الصياد .. فلم يطلق غدارته بعد .. وقد استسلمت تماما
 لساقط أفعاله .. فقال وهو يوزنها : على البركة .. منذ
 الآن أنت سيدة هذه السراى والأمرة والمتصرفة فى كل
 شئونها .

.. جنح الشرنوبى الى خارج قلعته يفرك أصابع
 سعادته .. الى الشيخ عارف والذى باغته تعمد صاحب
 الضيعة الالتقاء به وملاح وجبه رغم غموضهما الا أنه توجس
 منها شرا .. والشرنوبى يسوق اليه الكلمات بتؤدة لا تتحملها
 أعصاب الشيخ المسكين .. وسكب ملامحه نفاذ الصبر
 وكأد أن ينفجر .. فعاجله الشرنوبى قائلاً يعلم الله كم أعتز بك
 وأخشى عليك .. كخشيتك على مالى .. أريد أن أستقر يا شيخ
 عارف وأنا بصدد الاقتران بابنتك هادية .. التى تشرفنى الآن
 فى القصر .. وهى فى الحفظ والصون .. لم أمسسها اكراما
 لك .. وهى تبغينى .. وأنا أريدها فى الحلال .. فلنعلن عقد القران
 .. ولن تكون هناك أى هتيكة ! ..

.. وعارف ضاع لسانه .. وطار ابصاره .. وانقصمت
 رقبته لا يرفعها .. وفى استعراضية بجيدها الشرنوبى .. أعلن

على الجميع المفاجأة ٠٠٠٠ فتواكبوا مهنتين ضاحكين لداعبات
الشرنوبى ٠٠ الذى أفصح أن الشيخ عارف قد أصبح والده
قانونا والزغاريد تتعافى فى حلوق النساء ٠٠ وهرج عم المكان ٠٠
بينما السيد الأمر قد أطلق حماسه وقدميه الى الزربية ٠٠ المكان
الاثير لديه ٠٠ والذى يستمد منه حماسته وقدراته ٠٠ يحشر
جسده بين الفحول ٠٠ ويشهدهم أنه قدر المنافسة والنصرة
والغلبة والانتعاض ٠٠ ونظر لعجل متعاف بينهما تحد سافر على
الجولات مع الأنثى ٠٠ وتعالى على العجل بأنه هو الأقوى ٠٠
والأطول باعا ٠٠ ثم غادر المكان وقد انتقى ما يذبح للاحتفال
الأعظم ٠٠ وقد استعاض حماسه ٠٠ ورجولة من اللقاء ٠٠
وروثهم أصبح العبير الأثير لديه ٠

آب يتوقد حماسا الى وسط الرهط السعيد ٠٠ فجاور
المأذون معلنا أن المهر ها هو ذا ٠٠ وسلمه للشيخ عارف ٠٠
المسكين الضائع المذبح ٠٠ وعقد المأذون القران ٠٠ مطلقاً
سراح الحيوان المتعافى على العروس الخافلة ٠٠ وكانت الشاه
الذاهلة ٠٠ ساهمة ٠٠ لم تر بعد خنجره المتأهب للموعد المحتوم ٠٠
ورفعها بين ذراعيه ٠ ريشة انزلت لبئر دوامتها ٠٠٠

٠٠٠ خرج بها للجميع ٠٠ بينما أبخرة اللحوم تتصاعد
شبهية ٠٠ تسافر بطايبها فى كل مكان ٠٠ تلهب الأنوف ٠٠ فتزداد
جوعتهم ٠٠ طلقات البنادق تزف أصواتها وحشية تجمدت
عندها أصول ٠٠ وماتت مفاهيم ٠٠ والعيون هائلة ناعمة بما
سيساق لبطونتها ٠٠ لا يحفلو بما عداها ٠٠ الشيخ عارف ٠٠
لا يعرف كيف ضاعت عبراته ٠٠ لم يرها عيان ٠٠
أبصارهم غشاها لعابهم ٠٠ وعلت أنوفهم فاستعلت أفواههم ٠٠
الجمع الغافل عاشق الصخب لا يدري من سيؤكل فى الغد ؟ ٠٠

اخذ، تلطت بلا تمازج دفوف الحصاد ، العرس .. والقصاب
شحن سكينه .. واعتلى بغيته .

قصعات الثريد واللحم تتسابق اليها الأيادي ..
واللعاب .. والشرنوبى تخلص من أقنعتيه .. ما عاد
بحاجة اليها .. امتطى صهوة شهواته .. فتعالت صرخات
الذبيحة تستغيث .. بينما أهات الاستحسان منطلقة تصم
الاذان .. والسكينة المتعجب بها صاحبها .. يغمدها مرات
تلى الاخرى .. والضحية الثخينة جراحها يتلاشى صريخها
حتى المرايا اغمضت وتقرزت فأشاحت وجوهها .. والعروس
صارت بلا أصوات .. وأوشكت أن تكون بلا أنفاس ..
والشرنوبى المتغابى يسحب أسلحته فقد فاز هذه المرة واعتلى
طواحينه .. أبصر فى المرايا رجلا عاريا .. بالكاد عرف أنه
هو هذا الرجل .. فقد اختلط ذهوله بعلامحه .. يبحث عن فتحة
الباب يستعدى .. آخرون الذهول اغمض عيوننا لا تفهم الأسباب ..
أقدام خرساء تجوس تبحث عن طبيب لكن الوجوم لم يمنع من
قضم لحوم أن يبتلعها .. والسكين المشرتبة الطاووس .. باقت
بلا معنى أو قيمة .. ونسيج الشر أصابت العثة خيوطه ..
والعباءة لفت جسد الشرنوبى القبيح .. وضحيته نهبا للعيون
تأكلها .. ثم غطوا البقايا .. والطبيب القادم لا يدرى سبب
احضاره .. والشرنوبى يباعد خطاه ! : تنهيدة عرجاء
تود لو وجدت فى الهواء مكانا .. ويلجأ لعربته يروح المسرح ..
والأضواء الى حيث ألقت .. الشخصوص تتعملق فى صحراء
صماء .. والمعانى تفر من كل شئء حتى الزهرة المسكينة
التي تفسخت تحت وطأته أضحت سوءة .. لا بد من دفنها ..

... ويجرى الليل من ظلمة الى ديجورة تلتاث مشاعره
 .. ليتة يبكي .. اى بكاء قد يعيده بشرا .. ولكفه محروم فى
 جذوره من هذه النعمة . لقد هانت الدنيا .. وأصبحت ضائعة
 المرامى .. عاقرا مثله لا تلد أحداثا .. وفجأة تلمع الاضواء ..
 وتستحيل ابهارة يخطف الأبصار .. رياه .. ما هذا .. انه
 لا يستطيع أن يتوغل أكثر من هذا .. يقف ويترك العربة .. وأمامه
 مارد يمنع أنفاسه أن تنطلق خلف حواجز زجاجية لا يراها ..
 والشرنوبى يسأل من أنت .. والشبح يجيبه : أنا الشيخ زایل ..
 هل جئت تبحث عن البئر ؟ .. اى بئر ؟ .. بئر العوارم ..
 كل الخطاه .. يبحثون عنه ليتطهروا ! .. ولكنى .. نعم أريد
 هذا البئر .. أبه ماء كاف ؟ .. هذا يعتمد على الحظ .. ولكن
 ثيابك هل ضاعت .. وأخيرا أتى الماء .. سقط سخينا متدفقا ..
 أغرقه حتى صدره فاقتل ..

أخيرا بكى .. وعبراته تغرقه ولا يدرى أين فوهة البئر ..
 شد ما عانى وهو يبحث عن هذه الفتحة .. لقد ولدته
 فتحة وأوته فتحة وضمته فتحات .. وهو الآن بصدد فتحة
 تخفيه وسوءته .. ما عادت للمعانى مفاهيم .. يا رب أين فتحتى
 .. استريح اليها وبها .. أضاعت الفتحة فلا تسعنى .. أين
 بئر العوارم هذا .. وهذا الشيخ زایل .. أين كان .. أطلقت
 يدي فأكلت زرعها .. والان أبحث عن تربة أدفن فيها زروعى
 الشقية .. ولا أريد لها انباتا .. لا شك أنك خرفان يا شيخ
 زایل .. انك كاسمك زائل .. والدنيا بكل روثها لن تغذى جذورى
 .. ما عدت شيئا أكرهه .. أو أريده .. أرنى فتحة العوارم ..
 فأنا أشد منها وأقوى .. هى تهرب منى .. تخشانى .. ولكنى
 ما عدت أهرب .. ما عدت أهرب يا كل أشباح الدنيا ..

التهميمه

عبثا حاولت عيناي جذب النوم .. فباعت محاولتها
بالهزيمة .. كيف وعقلي .. بل كل مشاعري أسيرة اغراء
أعظم .. وتأثير أشد ؟ ! .. أترقب ارتداد الظلام .. ويزوغ
الشمس ... بلهفة الطفل داخلي .. يحسب الثواني على
شروق أمه .. أحادا ..

سنبتعد ونبتعد .. عن كل الاشياء .. عن عالم صدات
مشاعره .. تعلوه الغربان .. رزجنا تحت نيرهم غرقى الدروب
.. ثم انى على موعد ارتبطت فيه وملهمتى على اللقاء وتنفيذ
القرار ! ..

بسطت أصابع الضياء نفوذها على قمم السماء تبعد
الليل الطويل .. وانبتق يومى الموعود مزهوا وضيقا .. لولا
الكهولة لصحت فرحا .. وصفقت بكتبا يداي .. انطلقت
سريعا لا أرى .. أتخلص من ذيولى وأهسفادى .. أطوى طريقى
لقطار أحلامي ابتسامة أعماقى المغلفة بالملق والحنين ..
جلية واضحة لا أطيق أخفاءها ! .. ما بال هذا القطار اللعين
سأكتا باردا ؟ ! .. أما ركبته ؟ .. فيم الانتظار ؟ .. تباله

ثقل الظل ألا يدرك ما بي .. أم يعزوه مزيد من دلال ؟ .. قرف ! ..
هل أتلهى بوجوه من حواشي ؟ .. هل هذا وقته ؟ ! .. ياه أخبيرا
صفارات الفرع انطلقت بقطاري .. سنطوى الفراق .. لأميرتى
.. وإبداعى .. وسهيدة الليالى والالهام .

بلا وعى امتدت يدي أداعب تميمتى الساكنة فى جيبي ..
الا ... لعنة على النسيان ! .. أما فقدناها ويحك يا علم ..
أصبر .. وتلهى .. وكيف أنساها وأياديها على !! ان جفاني
وعصى قلمي البيان أفركها فتنفك عقدة قلمي على الاوراق ..
لا ألحق به من سرعته .. ان تمردت حبيبة بمشاعري وأولتني
ظهرها .. هرعت تميمتى باكسير النسيان .. أو اثار
حفيظتى رئيس .. قرأب الصدع .. فتعود بسمة ليالىنا ..
ماذا أتذكرلها .. ولا أنساها ؟ ! ولكنها هجرت حوزتى .. انها
حجر أصم الا أن ما تلهمه من مشاعر وأحاسيس تفوق بشرا
بتروا من نفوسهم أى احساس ! .

التقيت بها على رمال الشاطئ كنت غلاما يجرى ويلعب
.. أبصرت أمامي صخرة ملساء صغيرة الحجم .. عليها
نقوش بأحدى وجهيها وبالأخر خطوط وتعاريج .. أسرعت أدرسها
جيبى مغتبطا .. وجريت أريها أبى الذى قال بعد أن قلبها
وتفحصها كأنها من كنوز الفراعنة .. حافظ عليها يا علاء ..
فان لها قيمة ! ..

وحقا كانت أغلى كنوزى وأقربها لقلبي .. تنام تحت
وسادتي .. أقص عليها متاعبي .. وأفراحي .. فلا تسخر
منى .. دائما تسمع الى بحنو .. أم رؤوم تلهمنى ولا تياس
منى ! ..

وعندما اقترنت بزوجتى .. فرحت بها .. وتفاعلت بها
وافردت لها مكانا بيننا .. حتى كان عامى الماضى .. سافرت
بها الى الشاطئ كعادتنا .. وانتحيت برملة ناعمة .. قريبة
من لكوخ استأجره كل عام لايجاره الزهيد .. وبعده عن
المتلصحين .. ولقربه من البحر امير الهامى .. وتميمتى
التي لا أحملها .. البحر بهرجاته .. وطيوره ورفيف هوائه
وطاهر أنفاسه .. أنعم بين جنباته .. وأسترخى من وعشاء
المدن وضجيجها .. تشنف أذننى موسيقاه ولهو طيوره ...
واذ بهاتف يدعونى أن أفرج عن التميمة .. أريها الضوء ولتنعم
بلمس الرمال ! تعجبت لهذا الهاتف رافضا .. وطاردا له ..
ولكنه عاد يلح على .. فلم أر ما يمنع من وضعها على مقربة حتى
أخلص من اللاحاح .. وغفلت عيني برهة وعندما عدت لم أبصرها
.. لم أر كيف انشقت الرمال وأبتعلتها ! ؟ .. حيرة مضنية ..
عذاب ورعب ملأ قلبي يعتصره .. كيف أعود بدونها ؟! كيف أنام
وأحيا ؟! بعد معاشرة دامت عشرات السنين .. لقد أضحت قطعة
منى .. أتطير شرا اذا غابت عنى كم كرهت نفسى وغبائى ..
وكرهت الرمال .. الغيظ يفتك بى .. كائن مريض ملتاث .. فلا
أستطيع تركيزا ولا بحثا ! .. حتى أنى لم أبصر الصبية التى
انتصبت أمامى .. ولا أدري من أين نبتت ؟! وبرغم صوتها الرقيق
الحنانى .. الا أنى أرتجفت للمباغثة وهى تسألنى .. أتراك تبحث
عن شىء عزيز ضاع منك ؟!

التفت لتطالع عيناي ما لم تره منذ أمد بعيد .. فتاة كالهمة
الناعمة .. فى ميعة الصبا ونضارته .. خضراء العود تحسبها
من زهور البحر .. أو من ورود الجبال .. شفافية أخاذة تسبيك
فتنتها وطهارتها .. بثيابها البسيطة .. تلهيك عن دنيا الكافرين
والرافضين .. وأصحاب الرايات الحمراء وموائدهم .. وعشاق

الحقد والتميمة ! .. تنتشك من غور عذابات وقذى غرقنا فيه
ونعانسه .. فتغسل عينيك بطهرها اجبتها مسحورا : ضاعت منى
اغلى العزيزات .. تميمتى .. انها هنا فى احشاء الرمال .. لا
أدرى كيف ؟ .. فقالت تلومنى : أقد القيت بها ؟ كيف وهى الأثرية
لديك .. العزيزة عندك ؟! عجيبة ! .

تنهدت مغلولا : لا تسخرى منى اذا قلت لك .. أنى أذعنت
لهاتف حرضنى أن أطلقها عند الرمال ! الا لعنة الله على الغباء ..
وامطار اللعنات على من حرمنى أنسها !!

هونت على قائلة : لا تبتأس أرجوك .. هل يسعدك ان
تعرف .. انها عادت لذويها ؟! احتددت باستنكار : هه — لست
فى حاجة للهراء أو السخرية ! .. ثم « بشك » ان كانت فى حوزتك
لا تنكريها — أعيدها الى وسأجزيك العطاء !

ترقرقت ضحكتها : وكيف عرفت ان اسمى عطاء ؟! .. انها
حقا فى حوزتى .. أنظرنى بتمعن أرجوك لا .. ليس بعينيك — بل
باحساسك .. وستعرف أنى عطاء . !

قاطعتها متوسلا : يا آنسة عطاء — من فضلك لا تلاعبينى ..
رديها الى — وسأكافئك !

فهمست : أنى حزينسة من أجلك. بعد أن أعطيتك زهرة
عمرى .. أمازلنا غرباء ! اتهدا وتستريح ان علمت بأنى التميمة ؟!
تحلى ببعض صبرك .. أرجوك .. صدقنى يا علاء .. فأننى
التميمة ! . وضعتنى أمى فى طلسم مسحور تأديبا وعقابا لى ..
لنزقى ولعبي بين البحور .. أنت لا تعرف أننا نقطن البحور
الشرقية .. وأمى احدى أميراته !! مازلت لا تصدق .. سأقطع

جيش شكك بيقين .. أتذكر الشيخ عبد الواحد المغربي ؟! من
قرأ طالعك .. وأنبأك بالكنز المدفون هناك في جبل أمير
الجيوشى ؟! .. وأن هذا الكنز لن يفتح إلا على وجهك ولكنك
خفت وتراجعت خشية حارسه — هذا الثعبان العملاق ؟! أتأكدت
الآن ؟! بريك لا تتركنى هكذا نهبا للكد .. والخسرة ! ..

.. فغرت فاه دهشتى .. تتصارعنى غيلان الشك ..
وملائكة الحنين باليقين .. فمددت لها ذراعى . لتلقى بنفسها
بينهما فى شوق غريب .. من اعتاد هذا .. واحساسى بفراق ..
وآله بعد السموات عن الأرض .. غريق تشبث بطوق نجاته ..
أناملها .. لا أشبع .. ولا أصدق .. فأجيدها لصدرى مغتبطا ..
كناسك تاهت به الجبال .. حتى رأى برهان ربه ..

أستذشق هبيرا العطر بندى زهور البحر .. أثم جبينها .
أضحك من بكايا .. وأستمذب البكاء هاتفا :

— دا أنت حكاية ياعطاء .. أيصدقها انسان ! ؟ عبثا لو
قلتها لعبدة الاصنام وصانعها ! ولكن ألسنت بعد صغيرة ؟!

فهمست : هكذا نحن بنات البحور .. تظل ملامحنا وأجسادنا
هيفاء .. حتى نتزوج ونحمل ونلد !!

فداعبتها : يا جنية .. وكنت تدخلين معى الحمام .. أكنت
تسيحين بوجهك ؟ .. عيني فى عينك ! .

وضحكت كأنى لم أضحك عمرى .. وكأن الضحك قد نسي
بابى فى كل ستنى ! ..

وعدت أخاطبها : بريك يا عطائى .. وأحلى ما أعطانى الله ..
ياخرافتى .. كيف أعود بك لبيتنا ؟ ليس فى جيبي كما كنا ؟!

« وضحكنا » .. آه لو صجبتك فى ذراعى .. وقدمتك
للأهل والأترا ب بأئك تميمتى ! .. سيفتتح مزاد الهمز والنغمز ..
وترقيص الحواجب ! .. الا زوجتى .. آه .. سيكون كلامها تقاسيم
ببائى على جسدى يا خائن .. يابصباص .. وحى والهام ؟! ..
وانا فى وجع قلب عيالك .. وقرفك ! .. وأنت يا صاحب الشعر
الأبيض .. تسير على حبل بلا غارب !! ترى أهنالك حل .. أم
تعقدت ؟!

.. نامت عطاء دون أن تعطينى الجواب .. نامت ملاكى بسد
صراع عسير .. وتجاذب ! .. دموعها محفورة على خديها ..
اودلو أرشفها ! .. سنجد حلا ان شاء الله ! .. ولكن أين به ؟

لقد تعطلت كل ملكات فكرى .. فتركت تدابير الكون لصاحبه
.. وغلبنى النوم ونحن ممددون أمام الشاطئ وقد سجد البحر ..
واسكت أسواجه .. ولم توقظنا الانفحات النور فى الصباح وطيور
البحر .. تسعى لرزقها .. وأمواج صغيرة نزقة خرجت من
أحضان أمها تلعب .. وتبل أقدامى .. تلفت أبحت عن عطاء فلم
أجدها .. فى كل ما حولى .. فتنهدت بأسى من يبحث عن دواء
الجواب والخلق مرور بالسؤال .. غصنة قلبى أخذتنى بعيدا اقلب
أى وجوه للأمور على أصل لحل .. وقفلت عائدا الى بيتى بعد أن
ومدتها أنى سأصل لجواب وقرار .. أيا كانت عواقبه !!

.. وها قد مضى عام .. وقطارى يطوى المسافات ..
ويزيل العوائق والفراق وما هى الا لحظات ويعود الطائر الى
جناحيه وبحلق بالسعادة .. ويهجع لعش الهامه ! ..

.. بدا كوخى العتيق غريبا .. وقد كسته نباتات البحر
بحروشها وتيجانها .. لكن بابه الموصد ضايقتنى .. أتوقعت أن

أجده مفتوحا .. وعطاء تزين مدخله ؟ . ويحي أتخيل .. وأحزن
إذا غاب ما تمناه الخيال ؟ فتحت الكوخ .. فأتتني من داخله رائحة
رطبة .. بحثت عن مقعدى المفضل فأخرجته بعد أن القيت بحقيبة
ثيابى وهرعت الى حافة البحر .. جلست عنده ووشوشات الموج
تسألنى فأجيبها وأطالبها أن ترد لى ملهمنى سألتها عيناى فلم تحر
جوابا .. فتسربلت بثياب الصبر .. أخلق فى الأمواج .. أنتظر
بزوغ عطائى من بينها .. وطال تحديقى .. ومل الانتظار من
ترقبى لها ! استجمعت قواى .. أنادى عطاء .. أكرر وأعيد
النداء .. واليأس الغبى يطارد أملى .. فألحف فى النداء فتسابقه
عبراتى .. التى تعودت على الألم .. ولم تألف سواه ..

أخذت أنشد اسمها .. يعطاء .. يا كل العطاء .. فى زمن
عز فيه العطاء ! .

وصرخاتى وندائى .. يحملها الصدى بلا مجيب .. تركت
مقعدى .. وقربت فمى من حافة المياه كالماتك أعيد النداء وقصة
لعينة تعصر فؤادى .. ورعشتى تتسرب لصوتى .. وماقى
تسرب دموعها وتختلط رسائلها بمياه البحور .. الغروب يزحف
.. ودماء الشمس تلتهمها أفواه الظلام .. ويخفق الليل بدره ويؤود
نجومه .. فلا أرى غير أمواج يأسى وأعاود النداء .. وأستار
دموع الضياع .. وعبراتى قد أفقدانى حدة البصر فلا أرى الا
خيالات وهمى .. حتى أسترده السمع صوتا يأتى من بطن المياه
يقول :

يا بنى لقد غابت عطاء .. ما عادت منذ أن فارقتها ..
ليتها كانت معك .. أخشى أن أقول .. أن حوتا غادر قد ابتعلها !!

اغتظت لكلامها فقلت : اتندبين الآن وتنعين عطاء ؟! أين كانت
حكمتك لما حرمتنى اياها .. ليس غيرك سبب شقائنا وبلوانا ..

مبريك لا تجلسين هكذا ثكلى فأنت الجبروت والقوة .. وأبطشى
.. أبطشى بى هذه المرة .. اقتلينى حتى استريح .. لقد قتلنا
من قبل .. افعلنى شيئا .. فأنت بارعة فى الشقاء والخراب ..
أسمى .. لم لا تحيلنى تميمة مثلها .. أحيلنى تميمة واحبسنى
فى طلسمك الفادر .. !

نفذ جبروتك الأحق فى .. على أكون نفعاً لإنسان ..
أرجوك أعمل طبيباً ولو مرة فى حياتك .. وكأنت المرأة المائلة
لهاوى .. شبح اختفت ولامحه ..

لكن برودة كلامها وهديره كانت كالخنجر الغامد فى أعماق
« عجبت لهذا » تنهدت وقالت :

— يابنى .. لن تطيق هذا السجن .. سببتك زوجتك
وعيالك .. وتلهيك الدنيا .. سيحتاجك الآخرون .. ستجد نفسك
فى معطيات أخرى أنت غافل عنها الآن !؟

أجبتها : نفع وعطاء ! .. ما عاد أحد يأبه لوجودى .. ولا
يفريهم نفعى .. عطائى كان فى عطاء فأين العطساء .. وأين
الصواب والمنطق .. بريك قومى لسحرك لعنك وأصلحى ما
فسدته بعاطفتك الغبية ! ..

.. انصاعت المرأة لتوسلاتى .. وقامت متثاقلة مترددة تلقى
على بتمويذتها وتردد كلماتها المبهمة .. وتعزم بطلسمها .. وأنا
لاه فى غبائى .. وإذا بدبيب مخدر يسرى فى أوصالى فما عدت
إليك الوزن والتوازن .. أعقبه تقلصات أطبقت كالجبال تحطم
مفص صدرى فلا أستطيع شهيقاً حتى اختنقت .. غبت عن وعيى
.. فلا صراخ .. ولا نكوص فى القرار !

عدت للدنيا .. وقد استحلت الى قطعة صخرية مليئة بالآلام
.. منقوش وجهها بلا أى معنى تحمله لآى انسان .. واحسست
بيدها الباردة تأخذنى وتلقى بى على مقعدى السابق !!

.. جبال ندم بطعم الصبر .. وضيق وخنقة لا تمر فى قبر ..
لا ادرى كيف اقدمت على ايعاز شيطانى وأطعته حتى فى هذا ! ..
طال انتظارى .. جبال من أيام ودهور من ساعات حتى اتانى
صوت اقدام خفيفة .. لأبصر عطاء .. يا الله .. اكانت أمها
تخدعنى ؟! ..

تلفتت حيرى تبحث عنى .. ثم غاصت داخل الكوخ ..
وعادت على مقربة .. آه لو أستطيع للحظة فأنطق اسمها !! ..
لكنها لم تبصرنى .. ويحك يا عطاء .. لقد أبصرتك من قبل ..
فأبصرينى اليوم ! ..

لقد ابتعدت عند سماعها أصواتا من بعيد وصخب اقدام
فيها ضحكات نازقة لبعض أولادى .. ولكن أين زوجتى ؟ ..

سمعت أشخاصا آخرين وأولادا تجرى وتهرع صوبى ..
أحدهم تقدم عند مقعدى .. نظرنى بامعان .. وتلفت حوله ثم
اختطفنى وأودعنى جيبه .. وجرى بكل قوته .. جسمى ..
هجرت من ركابى كل المعانى .. !!

الامتحان

.. انسحاب القطار وئيدا يعالج تعاريج القضبان .. وتباين
اتجاهاته .. حتى انتقى هدفه المرسوم فحث خطاه .. واتزنت
حركته .. لتتناغم موسيقاه الرتيبة اطلقت الاستاذة « بدور »
تنهيدة ارتياح مكبوتة .. واستكملت مع الرتم المنبعث من سريان
القطار .. تساؤل قلق استولى على دخيلتها الى اين يا بدور ..
والى متى ؟ .. أما كفانا لهثا وسعيا ؟ .. فى تأفف وضيق اجابت
على قلقها « وماذا حدث .. باذا ينقصنا .. بك حنين لحياة
الجوارى ؟ .. كفانا تخاذلا وضياعا .. اصمت بالله عليك » ..

زمت شفيتها تحسم دواخلها .. والتفتت الى دادتها فهمة
الصامته بجوارها .. الساكنة كمهدا .. نظرت الى الدادة
بحنان تشوبه الشفقة لكبر سنها وهمست :

« امتصايقة من اصطحابى هذه المرة ؟ » .

وفى عتاب عطف نظرتها قائلة : المهم ان تكونى انت الراضية
السعيدة يا ابنتى .. ولاخرتها ..

توالت المزارع على القطار .. بألوانها الهادئة والزاهية ..
وبروق القطار يتخلص منها تباعا .. تراحمت لوحاتها أصيلة

طبيعية .. لكن عقل وبصر الأستاذة بدور انشغل عنها .. ولم يدركها .. أو يستوعب لمسات الشاعرية الرقيقة فيها .. شغلها المجهول الذى أسدل لثامه .. ولم تفتضح خبيثته .. ولعلها اذا أدركت أمره .. وكشفت عن وجهه .. طوته مع أوراق الأمس .. ودفنته فى سراديب دروبها المجهولة وبدور تطلق بخارها المحتبس العارم .. وضيقها مبعثه أن ذويها يعدون لها برامج تتعارض مع برنامج عريض وثاب وضعته لنفسها فلا تجد من محبذيه ومؤيديه . إلا طموحاتها الفائرة .. بينما سنين عمرها تنافس وثبات قطار يلتهم السنين ولا يعبأ بما دابس .. وعبر .. عقدها الرابع يصير على الانتهاء .. ولا زالت تصمم أذنيها عن نداء الحياة .. ترفض أن يחדش عذريتها أى قرآن .. حقا أن أنوثتها وجمالها على عرشها الوثيق لكتها .. أتدرى ما تخبئه الأيام .. ومتى تخون ؟ .. ندرىها وقد فقدنا أعلى الأشياء وأبهاها ..

كم عزف خاطبو الود الحان الهيام بها والصبابة .. وآنوا مرفوضين خاسئين .. وقد خابت آمالهم بعد أن أوصدت أبواب جنتها فى وجوههم .. وارتدوا وقد تحطمت أنوارهم وبهجتهم .. ومع الأيام تناقصت أقدامهم .

ثم تلاشت أبواق طرقاتهم من بابها .. وهى الغافلة اللاهية بطموحاتها قد حمدت لهم هذا الانصراف وأنزاح كابوسهم من ذهنها .. فشدد ما تمقت الذكر .. هذا الطاووس المتباهى بعنفوانه .. يمتطى الدنيا فتركع لفاتحها المغوار .. انها حتى لا تطيق سماع صوت غروره وخيلائه .. وعبتا حاولت أمها ودادتها ثنيها عن هذا التفكير وتلك النظرة فهى بدور الفرس التى تهوى البرارى وتمتطى العلم وتلبس الثقافة .. أسقطت قلبها وأنوثتها فى نعل حذائها .. وشبابها فى أعقابها يغذيها .. وروائها فى

خيالاتها تلحظه فى عيون العطاشى .. فتنتلقى !حراس نشوتها .
لهم جدعت بأنوف .. وأطاحت بعقول ..

.. ملامح الطزيق تنبىء عن اقتراب وصولها للمهمة الموفدة
بصددها .. فقد أناطت بها الوزارة بصفتها مديرا للتعليم الثانوى .
مهمة اصلاح مدرسة ثانوية للبنات .. ضجت المنطقة والمحافطة من
شكوى أولياء الأمور .. لتفشى الفوضى والاهمال .. وضياح
تكافئ الفرص بين طالباتها لشيوع المحسوبية .. توسسوا فى
الاستاذة بدور المكلفة بعلاج الأوضاع المتردية .. القدرة على
اصلاح هذه المدرسة المارقة وأعادتها الى جادة الصواب ..

علمت البلدة بخبر هلول « بدور » فى منتصف عامهم الدراسى
.. فقام أهلوها على قدم وساق باصلاح وترميم ما أفسده الزمن
وتلميذاته فى هذه المدرسة .. كأنها عصا ساحر شمرت .. تسابق
السواعد فى حماسها وهمتها ..

ويتسترون على دمال ويثور بلادتهم .. كما نفضت المنطقة
عن ساعد كسلها الميرى المتوارث وجملت المضيئة سكنى الاستاذة
الناظرة .. سـاحرة الأساطير والتى تزينت البلدة من أجلها
واسرعوا لها بالمشطة ..

.. تهيأت الاستاذة بدور لمغادرة القطار .. وغزو البلدة ..
مرتدية نظارتها الطبية المستعارة .. لتلصق بوجهها مزيدا من وقار
لا ينقصها ..

تعانق القطار بإفريز المحطة .. ودادا فهمة بحقيبتها فى
أعقاب ربيبتها .. التى تهادت تشبع العيون بهامتها السامقة ..
وقوامها الناهد الفارع .. وتشيع سحرها على الأنفذة .. وثيابها

الأنيقة تعلن من تكون بدر « البدور » .. تلفتت حائرة تبحث عن
يستقبلها .. وبوادر ضيق تغزو ملامحها .. لوقوفها نهبا للانظار
.. حتى ابصرت كهلا يهرول بأبصار زائغة يبحث عنها .. فما أن
رآها حتى بان ارتباكها .. وتعثرت خطواته تجاهها .. مقدا لاهثا
اعتذاراته .. يحمل الحقائق ويتمم بالأسف ..

وبدور قد ألقت الضيق تحت قدميها معلية لهفتها في عينها
على مدخل البلدة .. لكن نظراتها ارتدت كسيفه لسذاجة التنسب
وضحائه .. أما دادا فهيمة فقد كتمت ضحكها بصعوبة ..
للعربة الأثرية النصف نقل التي ستقلها الى المضيقة .. والموظف
المنوط بتوصيلها يهمهم بعميق اعتذاره .. وقد تجلى الامتعاض
على وجه بدور .. لكنها ركبت عزميتها وأستقلت العربة تكمل
المشوار ..

.. وأمام مبنى أثرى تبدو عليه معالم زينة حديثة وقلت
العريسة .. وولجت الأستاذة بدر المكان بعد أن حيت بعض
القرويات اللاتي يتفحصنها بغبطة ودود ودهشة .. وتناثرت
تعليقاتهم في همس مختلط « حلوة وموضبة » .. ليست متكبرة ..
ستصلح حال المدرسة المائل « وابتسمت بدور وهي تغلق باب
المضيقة بعد أن أتمت ترتيبات خاصة بقضاء احتياجاتها .. وعندما
رأت الفراش استنشقت هواء المكان مطلقا تنهيدة دافئة ناعمة ..
لو سمعها العشاق لسهدت ليالهم .. ويديها تخلصها من عقصة
شعرها الرسومية .. حتى تركته يتهدل على كتفيها كليل زنجي
لامع الملامح .. ساحر الهمس .. يخطف بوميضه الأبصار ليغرقها
.. لولا وضاعة الجبين لتاهت عيون وعقول .. وطاشت الأيادي
في ردها .. والفراش يتأوه جزلا وقد أسعده أن يضمها ..
يحتضن نفيس كنوزها .. ويتسائل عن سعيد الحظ الذي ستسليه

مفاتيح كنز الكنوز لأعلى البدور .. التى فى بسسطها .. ربح
الجنة .. ومن غضبها يا ويلك وسواد ليلك ..

.. اعتادت شمس الشتاء بهذه البلدة على الكسل والثرأخى
.. والتدلل على أهاليها .. الا أنها فى هذا الصباح وبدء
الدراسة لآخر العام .. نشطت مبكرة .. تصاحب همة وحيوية
الاستاذة بدور التى امتطت سلم ادارة المدرسة .. قائدة من قواد
الاقتدار .. بسيفها سيزول الظلم .. وتختبىء جردان الفساد ..
وبدور تتفحص الوجوه .. تزن الأمور .. وتشدق قريحتها ...
ودقيق نظراتها لا يترك أيا من الوجوه .. ثم ارتدت نظراتها متسمة
مند الاستاذ شمس .. تقيس هامته .. وحيرة بلهاء لا تعى سببا
للوقوف عنده .. وشزار غضب يتفجر ويريد فى ملامحها يتساءل
من يكون هذا ؟ .. وباشمئناط تسخر من قلبها لتعلقه به .. ظن
طاقم المدرسة أن عيبا قد لفت أنظار الاستاذة الناضرة .. فباتوا
يتطيرون شرا ! ..

.. انفض مولد تحية العلم .. ليلتئم فناء المدرسة ..
وينسكن الهمس وخفيف الأشجار .. الا من لفظ بقاعة الاجتماعات
.. والاستاذ شمس يقتحم الثبات ويجرد الاستاذة بدور من تزمثها
.. لتحل عليها حيرة جريئة تخلف بشامرها .. وتبدل سلوكها
والاستاذ شمس المنتدب من المحافظة للحسابات والشئون المالية .
ترمقه الانثى فيها .. تهرب من عينيه الصريحتين .. الى شفثيه
المتطابقتين المثلثتين .. تدير نظارتها فتقول « رجل » مجسرد
رجل .. لا يزيد عن كونه شمسا ..

آه لو تعلم ماذا هناك غير بساطته وطهارة نظراته التى
انطبعت على ملامحه .. واهدت הראة المفهوسة بالحماس الى

تصرفاته .. وعندما دارت المناقشات .. استتمعت بدور الى
الكثير من الأنواء .. يغلب عليها الغث والتافه الاستعراضى ..
ويغتنم نضجت المعانى وتفوقت الآراء بجلاء حلو الالفاظ حين
تكلم شمس .. ولم تجد الا استحسان آرائه مع الجميع ..

وهكذا اقتحم شمس حصون وقلاع مشاعرها المحكمة الغلق
.. وضع بصمته على اعجابها المغتاز .. وتواصلت الأيام ...
لتحتدم أواصر الة وزيفة .. شمس ببساطته وريفيته ورقى
نظراته وهى الصامدة الصلبة تقاوم أشياء كثيرة تسلك وأوقدت
الضياء فى قلب تاق للنور ..

وتسللت الالة فاتحة باب الاستملاح .. وأرضه عندها
تزداد رقعتها .. نافذا الى سويدائها بتياره الدفين .. ليملك ..
وبؤثر على تزارها .. ثم يسفر عن وجهه فيعتلى عرش قلبها
يستبيحه ..

.. أما قارب العملية التعليمية .. فقد استقى خطاه من
قيادتها الجريئة المتمرسه فتذوب العوائق من مجراه .. وقد قطرت
بدور سفينتها من جنوحها .. وبانت مشارف شاطئ الامان ..

وكان بدور اصطادت رياحها المواتية .. لتنسجم تلميذاتها
من دروسهن .. وينبهر أهاليهن بالتغيير ..

بدت أيام الشتاء تلفح غروبها .. ورياح الربيع الدافئة ..
توقظ الأشجار والطيور .. وتنفذ لقلوب عزلها الصقيع ..
والطبيعة تنضو بردها وتنفضسه .. وتغمر بآيات الاعجاب الى
سماء مازالت على حياتها .. أما قلت بدور فقد ذابت غمامته
وتبددت مع اشعة شمس الخارقة .. وأن كانت فى حديثها عنه

مع دادتها تبتدى غير ما تبطن .. لكن الدادة الخبيرة بنفوس
صنوتها من بنات حواء تدرك ما وصلت اليه بدور .. ويريحها ما
طرا عليها .. حتى سألها شمس يوما على التلاقى فهناك أمور
يريدها أن تعرفها ولا يجد فى المدرسة المكان الملائم لمثل هذا
الكلام .. سقطت حيرى لا تدري بما تجيبه .. والمباغثة قد غزت
مقلها بحيرة دهشة .. حتى كاد الصمت أن يعطو صخب نفسيهما
ثم أجابته أن المضيئة .. هى المكان اللائق .. وأهلا به ..

انطلق شمس تزغرد خطاه .. وقد لبس الطفل فيه ثياب
العيد .. وتخلصت نفسه من بعض وقارها .. أما بدور المختنقة
بتيارات تداخلت فى مشاعرها .. فقد أعلن قلبها صنيحة مارد
أوشك أن يحطم القمقم لتعوده صحوه الحياة بعد سبات غريق ..
وعقلها يلغى .. ثم يشنذب ما لغاه .. ويعود للمنطق ثم ينطلق
لسانها هامسا « مجنون » أسياتى فى طلبها .. ولم تلمح فى عينية
ما يؤيد أو ينفى هذا ؟ ..

دادا فهيمة تشاغللت بتحضير الغداء وهى ترمقها خفية حتى
صاحت بدور بلا ضابط فى صوتها وفرحتها لا تعى أحلامها وخجل
غريزى يلاحقها : سيأتى إلينا ضيف .. الأستاذ شمس .. أرجو
أن تجدى فى أريحتك وكرم ضيافتك ما يرضيه .. ثم جرت بتدفن
وجه الخجل بين جدران حجرتها وتهدجها لا ريب سيفضحها عند
دادتها الاربعة ..

وعادت تسأل نفسها ماذا حدث يا بدور .. ما كل هذا ..
كيف ارتددت أنثى وضعيفة ألف لعنة على الحب ؟ أو نعرف بسبب
مجيئه .. ؟ صبرا ياشمس حتى تأتى ! ..

وأتى شمس تصحبه دفء النظرات .. وعابق الحنان ..
يدو جلالا فى مشية الواثق التى يرتديها .. تبحث نظراته عنها

من فوق كتفى دادتها .. وتلمع الحيون وتتلاقى فنى تشابك لا يود
افتراقا وتصافحا .. هى قلومه على مباغتة وبنانه فرح بلمس
حنانها .. وقد دان له محرابها .. وساحرته قد أجلسته فى
حضرتها .. ثم غابت عنه أو هربت منه حتى تخرس عينيها فلا
تفصحها وقلبها المجنون دقائقه كطبول الحرب تشى بكل شىء ..

وعندما عادت اليه كان شمس قد لالم شتات نفسه وصوته
يخذه الارتباك .. وهو يحكى عنها .. اليها .. وأنه أتى لتمده
ببد العون فى ملمة اتخاذ القرار ..

كانت كلماته المبهمة الغامضة المرامى .. وضيفة .. واضحة
اليها .. فما أتى فى طلب يدها .. لم يخل شعورها ما وصلت
اليه .. فلم يأت ليجنبد مشاعرها .. ويلقيها لدوامة الحيرة ..
والجنون .. بل تريت بها .. ولم تابه أن توقعاتها عكست لهفتها
فهى لم تدرك شعوره وقراره بعد .. واستندت فى مقعدها بعد
أن استعادت أنفاسها هامة : هات ما عندك يا أستاذ شمس كل
أذان صاغية ..

وبتوتر خفيف قال شمس لها وكأنه يحدث نفسه .. ما
أجوجنى لفطنتك حتى استدل على حقيقة ما أكتمه .. ما يعتلج فى
نفسى .. وترجمه بوحاتى .. أحسبها شعرا .. فهى تحمل
موسيقاه وقوافيه ولا أدري ما هى ؟ .. لقد دبجت العديد منذ
الصبا .. وأتيتك ببعضه مما يلمس شغافى ..

وبلهفة بدت يدها .. عليها تعلق ببعض من بواطن غازيها ..
وأسر القلب التمرد .. وطالعتها الأبيات ..

تعالى صغبرى نغرق المال

تعالى نسابق طيور الأمل

تعالى حبيبي نسحق الجدل

تعالى نعائق نجوم الفسزل

وحاذر صقورا تخطف الأجل

وخارج وعيها أطلقت آهة استحسان .. وقد أصبح شمس
في عينيها قرتهما .. واستمعت بكل جوانحها الى القصيدة ..
وابتسامتها بطاقة حنونة وصلت شمس فما عاد يمتطي مقعدا بل
الثريا يتيه جزلا .. وطالبته بأخرى فأنشدتها هذه الأبيات :

يا منارا خاصم ضسياه	قلبي الا أسير مـداك ؟
يا شرعما غافل ربانه	ياوى اما أروى صـداك ؟
يا عقيباً طاشت افراجه	تهوى ولا يفي حـسراك ؟
يا قطارا عائد صوابه	حلمى فلا أملك رضـداك ؟
يا ضراما هاجم شراره	امرى افا تسعد عـداك ؟

وبنظرة عاتبة هتفت .. وقد استحالت الى بدور أخرى ..
نـرقـة .. مـرحـة .. حـانـية :

-- أكل هذا السحر .. وتحبسه عنا يا أستاذ شمس ؟ لا يكفى
أن تكتب لقلبك .. وتقرأه عيناك ما كنت أعرف كل هذا الشجن ..
تحمله الصدور .. ولا تغذى به عيوننا ..

.. انبلج شمس وصاح : جئت أسمع هجاء .. منك لن يؤلمنى
حتى قسوته .. ولكنه مديح فاض بقدرى .. ومن خلال عبراته
الشاكرة مد يده لها .. فأعطته يدها .. وكانت أول قبلاته الحارقة
بالدموع .

استحالت المراهقة فى بدور الى خجل يملأ وجنتيها ورودا ..
وسحبت يدها .. ولسع أواره مازال يدميها فقالت ولكنك شاعر ..
موسيقاك وقافيتك وأوزان اجتمعت بحسك المراهف لقد دفنت هذا
الجمال بين الضلوع .. وحن لك أن تعليها وتفخر بها .. وأن لنا
أن نسعد يبيزوغ شاعر .. وكاد شمس أن يخلع وقاره .. ويحثو
على ركبتيه وليكن ما يكون .. الا أن دادا فهيمة كظمت خطواته
بمرطبات .. وحلوى .. ومن طرف عينها شعرت أن تيار الحب
قد اختضنها .. فعادت الى حجرتها وهي تبسل وتدعو لها ..
استحي شمس من دخول الليل عليهما .. فكف عن بثها شعره المباح
وتركها وقد غرقت بدور فى بحور .. وفلكه ..

توالت اللقاءات بحجة بعض قصصه وتلك أزجاله .. حتى
صار كليهما فى الآخر الشاعر والمهمة وعندما .. تأكد دادا فهيمة
أمرها فأسرت لها : أحسنت اختيار وانتقاء الأصدقاء — يبدو رجلا
دمت الخلق .. واضح الاحساس .. رقيق العواطف ..

ولم تدر بدور ماذا — تقبـول .. فهربت منها التى 'أوراق'
الاسئلة التى تجهزها بعد أن شارفت الأيام على الانتهاء .. ونواقيس
الامتحانات تسن رنينها .. والأسستادة بدور بهمة وثابة قد ألقت
بمخاطرها وقفاز التحدى فى وجه الأيام .. حريصة أن تكون اسئلة
الامتحان عادلة تخفيها تحت عباءتها حتى اليوم الموعد .. وعند
التنسيق الأخير لكل مادة عرض عليها الأستاذ شمس مساعدته ..
وحتى بقوده شوقه الى المضيقة .. والى منضدة عريضة جلست
تصنف كل مادة وشمس يبوبها ويرتبها والأمر يبدو وكأنه بلا نهاية ..
وقدميها المضغوطين المسجونين فى الحذاء يضجان بالألم .. حتى
شارفت على حالة مزيرة من الاجهاد تحاول أن تخفيه ..

وتلاحظ له امتعاضها فالتفت يسألها : أراك تتألمين .. هناك
ما أستطيع به أن أخفف عنك ؟ ..

وفى خفر عذب بدا فى تلون بشرتها .. تلعثم صوتها قالت :
أنه الحذاء السخيف .. تمردت قدمى على اعتقالهما فيه .. وزارتنا
باحتجاجهما الصارخ .. ويخى ماذا قلت .. ؟

فانتفض ملهوفاً معاتباً : أبيننا أى تكليف .. طوحى بالحذاء ..
وبالرسميات بعيداً .. أيننا أصدقاء ؟ .. اليك وصيفة من أمى
تعلمتها .. أن أذيب قليلاً من ملح فى ماء دافىء .. توضع فيه
القدم .. ثم فى ماء بارد ..

دعبنى أقدم لك هذه التجربة .. وسترى فعل السحر ..
وعندما همت أن تعترض .. أشار عليها بالصمت وهرع يبحث من
دادا فهيمة .. التى استفرقت فى غفوة يحتاجها كبار السن أستحي
أن يوقظها ودخل الى المطبخ أخذاً على عاتقه أعداد الوصفة ..
كان قد غاب قليلاً .. وبيده الوعاء الكبير .. ويبدو أن بدور من
فرط الاجهاد قد راحت فى سباتها هى الأخرى .. أسقط فى يده
يادىء الأمر الا أنه تشجع وأمسك بقدميها وضعها حذراً فى الماء
الدافىء وسمع تنهيدتها ولخلجها أغمضت عينيها فكيف تواجه هذا
الموقف .. وبيد حانية مفية أخذ يدلك قدميها .. انتهى بغير بدايته
فأصابه فداصابتها بالتخدير اللاسع .. اللذيذ .. أما مخمل بدنهما
فقد أشعل حبراً لا تنطفىء جذوته ..

وتوقدت شعلة الاولبياد فوق صاريها .. والهوى يزيد لها
أواراً .. وهى مستكينة .. تتنهد لتدليكه .. وثعابين بناته ..
زحفت الى الساق .. تتم المشوار .. ويزدرد لعبه فلا يجده ..
وأنفاسه شهقات وزفرات بركان عات مدمر .. أوشك أن يطلق
حممه ولظاه .. ويجتاح ما دونه .. الا أنه ارتد .. استعاذ من
شيطانه .. فكف ..

صحت بدور .. وقد فتحت فاما وعينيها وفيها شظى وثبق
.. لا ترى سوى شمس بوجهه يشراه .. وصوتها المتحشرج
مع يديها يتساعلون .. ماذا فعلت يا شمس ؟ .. أجبني .. لا تتركني
بعد أن عزفت بأوتاري .. ولحنك انساب في كل نامة من جسدي
ومشاعري .. أتود أن تراني ملتائة .. حرام .. أين شهامتك ..
وقد حركت دوافن ظننتها ماتت .. شمس أموت لو ابتعدت ..
اقترب .. فلن .. لن تبعد عني هكذا .. وقفزت عبراتها .. لأول
مرة في حياتها .. قامت متعثرة حتى سقطت في جب أحضانه ..
دافنة وجهها فيه .. وتلاقا الظامئان .. يروى كل منهما عطش
الآخر .. فلا يرتويان .. وحريقهما قد ازدادا اشتعالا .. مائفة
متبيلة : أحبك .. لو أعرف أكثر منها لقلت كل ما أعرف .. بكل
عطش سنيني وجذب أيامي .. أحبك .. بكل ما أودع الله في من
مشاعر وأحاسيس وعواطف أحبك .. وجرى الى الباب .. فجرت
وراءه وقد علا شهيقها واحترق ثباتها واندثر وقارها .. وحريقها
قد بان في عيني من الجمرات وأصابع تشوى وتكون .. تشبثت
به ولهى ولسع الحب في معاني الكلمات قائلة : انك امتحاني ..
ومصيري .. وقد رسبت في أغواري .. ورسبت لك رسبت في
دمائي وعيوني ..

وعندما حضرت دأدا فهيمة شهقت .. رأت بدور تهيم في تلك
شمس .. وعندما أبصرتها بدور ضمت شمس باعزاز قائلة : أظنك
ارتحت الآن بعد أن رسبت في الامتحان !! ..

دراسة

هذه المجموعة .. بقلم: د. نعيم عطية

قصص من الحياة اليومية ، في الأغلب الاحيان من حياة اناس
عاديين .. زوج وزوجة .. جارة وجارتها .. الى غير ذلك من
العلاقات المألوفة بين الناس في المدن عادة ..

ويحول المؤلف الحدث أو الموقف في ختام القصة الى ما
يشبه « المفاجأة » أو أن شئت القول « المباغطة » وكثيرا ما تضاف
عليها هذه « الميلودرامية » طابع « النكتة » أو « الدعابة » التي
يصدق في شأنها عنوان احدى قصص أو لوحات أستاذنا الكبير
يحيى حقي ، وهو « ألم أقل لك ؟ » .

ونجد القارئ عند السطور الأخيرة من قصص عدنان شيخ
الأرض ، يكاد يهتف في وجه المؤلف الغائب « بجد ؟! » أو بكل
بساطة لا بسعه الا أن « يضحك » وقد قال لنا النقاد الراسخون من
قبل أن « الميلودراما » آفة من آفات العمل الأدبي ، وبلية يجب
على المؤلف أن يتجنبها ولكنني ذات يوم وأنا أناقش القصص

والناقد الكبير يوسف الشارونى فى بعض القصص الميلودرامية مستخفا بها ، مقللا من قدرها أجابنى يوسف الشارونى ، الفنان المحنك ، ذو الراى الحصيف ، لا تبالغ فى استخفافك ذلك ، فالحياة مليئة بالمفارقات التى تتجاوز فى « ميلودراميتها » ما تلمسه فى أعمال بعض القصصيين ، وبالأخص من الأدباء الشبان الى أن بجىء الوقت الذى يمجون فيه بدورهم ميلودرامية الحياة ويصعدون أدبهم الى ما هو أكثر خشونة أو صلابة منها ، وعندئذ قد يرضى النقاد العتاة عنهم .

وعلى الرغم من أن أبطال القصص عند عدنان شيخ الأرض شخصيات عادية من أناس كل يوم المتواضعين ، إلا أن المؤلف لا يقنع بأن يسرد حياتهم على ما هى عليه ، مستخلصا من مساراتها جوانب سواء لقيت الاستحسان أو الاستهجان ، ومن ثم كان بإمكانه أن يكون أكثر اقتناعا لقارئه بما يتنامى أمامه من أحداث ويتتابع من مشاهد القصص ، وكان بإمكانه أن يقدم حينئذ لنا قصصا أكثر دفئا بأنفاس البشر ومجاهدات الانسان ، ولكنه على خلاف ذلك يزوج بأبطاله فى مواقف غير مادية ، أو غير متصورة ، أو أن شئنا أيضا امكن أن نقول مستحيلة مما أخفى عليها بصفة عامة كثيرا من برودة الغربة وهو يتوصل الى هذه المواقف من خلال تخيلات تفضى الى الدخول بنا فى تلافيف خيالات توصل الى مواقف مثل الموقف الذى نجد فيه بطل أول قصص هذه المجموعة « الفجوة » . أو على أى حال فإن لم يشطح بنا المؤلف الى مثل هذه المواقف « اللامقبولة » فهو يعرض لنا مواقف ميلودرامية يغلب عليها طابع المباغنة التى سبق أن قلنا انها تبعث على الضحك والدهشة .

ومن أمثلة المواقف المستحيلة ما نجده فى قصة « فى الضوء تستبين الأشياء » حيث تتسلط القوى الشريرة على البشر وتقمص

اجسادها . وهى تتسلل اليها باختيارها ولكنه على أى حال اختيار مصيب ، فالشر ممثلا فى « زائنة » لم تغز جسد وعى الأدب الا من خلال ضعفه واستعداده لبيع نفسه للشهوات . وهذا الضعف الانسانى على أى حال لا يتطرق الى كيان الأديب الحقيقى ، الذى جعل من الفكر والثقافة صومعة له ، وحياة لا يستبد لها بأى متعة من متع الجسد ، ومن منطلق زهده وقوته هذا يكشف ما يدبر له من ألاعيب العفريت زائنة وبرجاس ومطيتها الأديب التعس الذى جاء اليه بايعاز منها طالبا النصيح والمشورة ، وهو فى الحقيقة يسعى لتمكينها من التسلل الى كيان الأديب الأصيل ليحققا للشر انتصارا لا تقوم بعده للخير قائمة .

وفى اعتقادى ان قصة « ولكن تبقى أشياء » من أكثر قصص هذه المجموعة دلالة على مكونات ما يريد المؤلف أن يحققه بفقه القصص ولعل هذه القصة أيضا تنوء عن القدرات الحقيقية للمؤلف التى يجدر به أن يلتفت اليها ويعنى بتنميتها ، أن أراد ، فى مسيرته الأدبية ، كى يرقى الى كيانات قصصية أكثر كمالا تعى هذه القصة نلمح ميل المؤلف وقدرته على الدعابة ، فان شخصية رجل الأعمال المزواج الذى يبدأ صعود سلم النجاح فى عالم التجارة والمال بالاقتران بزوجة جهمة ، شكسة ، نكدة ، ويدخل بثروتها شريكا فى مصانع ومشاريع تتوزع بين القاهرة حيث يسكن معها ، والاسكندرية حيث يتزوج فيها بمحامية الشركة اللعوب الحسناء ، التى يتضح له رويدا رويدا انها تسرقه وتسرق الشركة دون أن يستطيع ازاء مغرياتها ان ينبس ببنت شفة أو يقيم فى وجهها اعتراضا ، ودمنهوور حيث له وشقيق زوجته مصانع ومشروعات ، فيتزوج بها ابنة الغمدة التى كلما اقتضت مباشرة الأعمال منه أن يذهب الى حيث تقيم عاملته « ذكر البط » .

وهذه الدعابة التى يكشف المؤلف عن قدرته عليها ، ليست مجرد « نكات » و « قفشات » بل هى نظرة أخلاقية متغلغلة كمبضع الجراح ، تغوص الى موطن الداء ، فتبين لنا عن شخصية رجل مقهور ، أسلم نفسه للانواء تتقاذفه كيفما شأنت ، وما عاد يملك من أمر نفسه حلا ولا ربطا .

ويبدأ الشجن الذى يختلط بالدعابة ، ينسج خيوطه منذ البدايات الأولى للقصة ، فهى تبدأ بمن يبلغه بمكالمة تليفونية فى وقت متأخر من الليل ، بان أخاه التوأم قد توفاه الله . ويحار من أمره أشد الحيرة ، فهو لا يعرف لأخيه عنوانا ولا يحتفظ برقم تليفونه ولا وسيلة أخرى للاتصال به . وعليه ان يبدأ منذ الصباح الباكر فى البحث والتقصى ، فليس المتوفى ممن لا تربطه به رابطة ، بل هو توأمه ، وان كان مختلف الشخصية عنه ، فقد أثر طريق الدراسة والكتب ، وبلغ فى شأنها شأوا اكسبه الاحترام ، وهو ما لم يدركه هو الذى قنع بحياة الضحالة والجري وراء التافه الرخيص من المغامر المالية والحسية . ولكن على أية حال عليه ان يبدأ منذ باكر البحث عن أخيه المتوفى ليقوم نحوه بالواجب الاسمى وبخاصة أنه يعرف انه ترك ابنة صغيرة رقيقة ربما كانت بحاجة اليه ..

ولكنه بدلا من ان يعمل الواجب يترك نفسه كعادته لمسارات حياته المألوفة فيسافر الى الاسكندرية بناء على استدعاء عاجل من محامية الشركة التى تكشف انها زوجته الثانية ، واذا ما عاد الى القاهرة متفلتا من عنايتها الفائقة ، تلقى به الاقدار اثر مكالمة من شقيق زوجته وشريكه فى مصنع دمنهور الى حجر زوجته ابنة العمدة .

وينسى وينسى ، ولكن طيف أباه المتوفى لا يلبث ان يظهر له فى المنام مستدعيا اياه بلهجته العسكرية الآمرة ، وينتهره بانه سبق

ان أرسل اليه اخطارا بوفاة شقيقه التوأم ولما كان لم ينصع لاثارته بالحسنى ، فقد جاء بنفسه لأخذه معه عنوة .

واذا كانت دعابة المؤلف يخفى بداخلها جمرة من شجنية ، مردها تأنيب ضمير لازال حيا رغم تكالب الضرورات اليومية العقيمة السمجة للعمل على خنقه ، واذا كانت هذه الدعابة تنتهى بمفارقة مؤسسية ، وهى وفاة صاحب الزوجات الثلاث ، فهذه المفارقة لا تجيء فى هذه القصة مفاجئة ، بل تأتى ممهدا لها منذ بدايات القصة ، والمؤلف بذلك يتفادى المفاجأة الميلودرامية التى قام عليها بنيان قصص اخرى له مثل قصة « وجهة نظر » . فهذه القصة الأخيرة تتفق مع قصة « ولكن تبقى أشياء » فى مسحة الدعابة التى تكتسى بها كل من القصتين ، وأيضا فى المفارقة التى تنتهيان بها ، ولكن المفارقة فى « تبقى أشياء » نجحت فى ان تتفادى « الفجائية » التى تمجها « صنعة القصة الجيدة » أن النهاية فيها تجد لها فى قصة « ولكن تبقى أشياء » جذورا ارهاصات فى البدايات الأولى للقصة ذاتها .

وسوف نجد شيئا كبيرا فى « الدعابة » يكسو بها المؤلف قصصه وتلك التى كان يبني عليها الكاتب الكبير يوسف السباعى قصصه أيضا . ولعل المؤلف الذى نقرأ اليوم اشراقاته القصصية الأولى يطور قلمه الأدبى ليرقى الى المستوى الذى كان قد بلغه فى تاريخنا القصصى يوسف السباعى ، ومن ساروا على دربه .

وسوف نرى فى قصة « ولكن تبقى أشياء » ان الحلم يلعب دوره فى القصة كما يلعب ولا شك دوره فى الحياة . والمؤلف شديد الاحتفاء بالأحلام وما شاكلها من أحلام اليقظة كما فى قصة « الفجوة » ومن قبل ذلك أيضا الأوهام والخرافات والمعتقدات الشعبية مثل

تقمص الأرواح الشريرة للأجساد البشرية ، ولأجساد الحيوان مثل
الخنازير أيضا ، فاذا خرجت منها وهى لازالت تحت سيطرتها ظل
الجسد خرقة بالية ملقاة على كومة من الروث . ينتظر عودة
« الشر » اليها مثلما فى قصة « فى الضوء تستبين الأشياء » ويقرر
فى موضع آخر من قصة له ان الأرواح ليست العديد من أجسام
التطط .

واذا مضينا مع عالم « الميلودراما » و « الدعابة »
و « الفانتازية » للمؤلف فائنا سنلتقى أيضا بقصة فانتازية من الدرجة
الأولى مليئة بالدعابة رغم جهامتها ، وهى قصة « المؤامرة » التى
يتبادل البطل فيها والقط « بيسو » المراكز والثياب فقد اندس البطل
فى فروة القط ، واحتل هو جسده وثيابه يرتع فيها . ولم يكن ذلك
الا بعد مفاوضات وأخذ ورد كثيرين قبل فيها القط المدلل وتنازل
متأنفا « وأسرعت أنا اليه متعجلا أدلف الى فروته ثم جسده الرقيق ،
المحدود ، وانتقل هو الى جسدى الممدد الأجوف » .

ومن خلال « هذا التبادل الجسدى » يبين لنا المؤلف مبلغ
الارتباك الذى يقع فى العلاقات بين الأرواح فى غير أجسادها ،
وأجساد بخير أرواحها ، وينتهى الأمر الى أن يتسلل الى قلوبنا
الرعب ونحن نكتشف حقيقة مهولة من حقائق هذا الكون وهو أن
الجسد يعنى الكثير كما تعنى الروح الكثير ، أيضا وان هذا الكون
يخضع لقوانين محكمة صارمة لا خروج عليها وان أى خلل فى
موضع كل روح من جسدها يعنى خلا مذهبها فى هذا الوجود لا قبل
للإنسانية على احتماله أبدا . ومهما تنابعت التفاصيل الضاحكة فى
مسار القصة ، فان القارئ توارقه وترعبه الحقيقة التى يعمد المؤلف
الى التلاعب بها .

وهكذا تضاف الى قصص عدنان شيخ الأرض خصيصة رابعة
هى استطاعتها ان تحرك فى أعماق القارئ تأملات فى الوضع
الانسانى بصفة عامة .

وتضامنا كثير من قصص هذه المجموعة ولو بطريقة غير
مباشرة امام مواجهة ظاهرة قد تكون جدية بالتأمل ، فان الأجساد
بصفة عامة هى وعاء تدخلها أرواح تحل بها ربحا من الزمن قد
يطول أن يقصر ، ولكن دخول هذه الأرواح مذ كانت شريرة وهى
فى أغلب هذه القصص أرواح شريرة ، لا يكون الا بعد تخريب
« الإرادة » ، بحيث تمضى تتدهور الى أن تصل الى حالة من
التعاسة والمسكنة والهوان يسهل بعد ذلك اذلالها ، وقد يتساءل
الذهن هل هذه الظاهرة صحيحة علميا ؟ هل هى مما يمكن للعقل
أن يرتضيه وبقبله ، ويعمل على تفسيره والادلاء له بمبررات ؟

ان مؤلف هذه القصص ذاته لا يقدم تفسيراً ولا يتصدى للبحث
عن مبررات . انه يقيم على هذه الظاهرة (صحت أو لم تصح)
قصصه ، ولئن كان الأدب الجيد لا يستغنى بصفة عامة عن أساس
علمى منطقى جيد ، فان المؤلف يقبل على عاتقه مسئولية التعرض
لأدانة من لا يرتضون عن العقل بديلا .

وربما كنت واحدا منهم ولكن مع التوسع فيما يعد تحصلا ،
وما يعتبر منطقاً وتبريراً على مستوى الفن والأدب ، وأفضل ازاء
مثل هذه القصص ان أتقصى عن مصادر مثل هذه الإبداعات لدى
المؤلف ، وسوف أجد ان المؤلف قد تشبع ، أن خطأ أو صوابا ،
بكثير من حكايات ألف ليلة وليلة ، والأدب الشعبى ، وهو ما أعتقد
أن المؤلف سوف يمضى فى أعماله المقبلة (فهذا الذى أمام القارئ
كتابته الأول) الى أن يكون له موقف آخر أكثر نضجا منه .

ولكن من منطلق عبارات مثل هذه « نفس أنا حقيقة تطاردها
أشباحها » فضلا عن أحداث كثيرة تحفل به القصص يكفي أن نرفض
الآن تأثير المؤلف ، بائكار مثل « التقمص » و « الحلول » و « التناسخ »
و « السحر » و « القرين » و « الأرواح الشريرة » التي تتخذ من
بعض الأجساد الانسانية الخربة مستقرا لها ، وتكون وبالا على
صاحب الجسد الذى تحل به ، وأيضا على أجساد أخرى مجاورة
تتعرض للانتقاض عليها وغزوها وسوف نجد هذه الأفكار لدى
شعوب بدائية تباينت مشاربها وتباعدت بينها المسافات ، بحيث
لا يمكن أن نقول انها قاصرة على نفر من البشر دون غيرهم .

وكل ما نرجوه أن نقف ازاء قصص هذه المجموعة التي من
هذا القبيل وقفة حيادية فنقتصر على تأملها وتذوقها ، دون أن
نتعرض لغزوها لعقولنا وكياناتنا .

ولو كان قد أدار المؤلف محركات ابداعه في هذا الاتجاه
بسرعة أكبر لادخال الرعب على قلوبنا أيضا ، ولكن مهما كان تلاعبه
مما يشبه « الخوارق » فهو لا يصل بقصصه الى أن تدخل في
تصنيف « قصص الرعب » حقا على انه مادمنا في مقام التصنيف
نستبيح لأنفسنا أن نقول بأن بعض قصصه بصفة عامة يمكن أن
تدخل في قصص « العشق والجنس » ولنضرب مثلا على ذلك
بقصة « الامتحان » حيث تسقط في الامتحان مربية فاضلة وجميلة
مع رئيس حسابات مدرسة ذهبت لاصلاح احوالها وأيضا يضرب
على ذلك مثلا بقصة « بئر العوارم » مهما كانت توجهاتها النفسية
والاجتماعية أيضا ، ومهما كانت تنطوى على ضمير يتألم ، يبحث
لنفسه من غرائزه عن خلاص ولا يجده الا في بئر يدخل من فتحته
ليفرق أو يموت هناك . وان كان هذا المعنى غير مفصّل عنه
بالعبارة .

ولكنه يأتي خاتمة رومانسية لقصة رومانسية في إطارها ونسيجها ، مشحونة بلهيب شبق عارم تمكن كروح شريرة مما نجده في قصص أخرى — تمكن من جسد فحل وضبع ، يتلذذ من رائحة الروث ، ويعتبر نفسه ثورا أو جاموسا أو أى بهيمة أخرى كما تحفل به حظائر قصره الذى أحاله قلعة للفسق والمجون ، ولشبهوات لا تنطفئ وملذات حسية لا ترتوى أبدا ، إلا بان يتخلص الجسد التعس من روح الشر التى جعلها تركبه كرد فعل لوضاعة منبته ، وتنكر المجتمع له .

ان « الفجائية » كما قلنا سمة عامة فى قصص هذه المجموعة . تقفز أمامنا الأحداث والشخوص ولا تلبث أن تختفى من حيث أتت ثم تعود فتقفز من جديد . ويساعد على هذه الأرضية الزلقة التى تتحرك عليها الأحداث والشخوص ، انها تجرى عادة فى العقل الباطن ، أو فى أحلام النوم أو أحلام اليقظة أو عبر الهواتف أو الذاكرة التى تسترجع مواضع بعيدة ، وبخاصة متى كان هذا الاسترجاع عبر معاناة نفس تمزقها العذابات .

ومن ثم كان طبيعيا أن تأتى كثير من القصص أشبه بالشطحات التى تميز الكاتب فى النهاية وتضفى عليه طابعه المميز ، فهو ولاشك لا يكتب القصة بمنهج منضبط ، وتحليل يلتزم فيه صرامة الرؤية وواقعية النتائج ، بل هو أبعد ما يكون عن الواقع ، ولكن هل هو على أى حال قد اقترب من الحقيقة ، أو مشى شفافها ؟! انه يحاول ذلك من خلال الاقبال على وسائل رمزية وتعبيرية وفانتازية يصبغها بطابع شخصى متواضع .

ويتردى الكاتب كثيرا فى تعبيرات مثل « يا الهى » و « لعنة الله على .. » و « تبالى أو له » و « آه ، لهذا .. » مما يفقد

الأسلوب نضارته ، ويصفيه بنوع من الرخاوة غير المستحبة ، وهو على أية حال عيب يقع فيه الكتاب فى كتاباتهم الأولى ، ولا يلبثون ان يتخلصوا من هذا العيب ، فتستقيم عبارتهم وتنضج لغتهم كلما منسوا فى مدارج الرقى والتقدم الفنى .

وفى هذا المنحى أيضا يبنى المؤلف قصصه على « الصدفة » و « المفارقة » فتعصى جامحة ، محيرة ، كما هى أيضا فى هوداديت الأطفال وأحكايات الشعبية ، حيث يخطف المردة ست الحسن والجمال من الشاطر حسن ، دون أن يدري من أين طلع المارد أو انقض عليه ، ويخبئها المارد أو الجنى فى أماكن لا تخطر ببال مثل قمام أو مخارة وعلى الرغم من أنك لا تكون بقادر أن تقتنع بمنطقية القصة فانك تلقى منطقك العقلانى ، وتحل محله منطقا آخر ، خيالا لا يمكن أن يصدق الا على الحكاية المروية لك .

ومن هذا المنطلق ، نجد « التميمة » تتحول فى القصة التى تحمل هذا العنوان بعد أن اختفت من أمام صاحبها ، مما أورثه حزنا تتحول الى « فتاة كالأهمة الناعسة » فى ميعة الصبا ونضارته، خضراء العود . تحسبها من زهور البحر أو ورد الجبال شفافية أخاذة تسبيك فتنتها وطهارتها . بثيابها النسيطة تلهيك عن دنبا الكافرين والرافضين ، وأصحاب الرايات الحمراء وموائدهم ، وعشاق الحقد والذميمة .

تنتشلك من فور عذابات وقذى غرقنا فيه ونعانیه . فتغسل عينيك بطهرها « (هذه عبارات المؤلف نفسه) .

ثم جرى حوار بين بطل قصة « التميمة » وبين تلك الحورية التى تحولت بفعل السحر من مجرد تميمة الى امرأة جميلة ، اسمها عطاء ، ويتأكد فى سياق القصة ما قررناه من تأثر الكاتب بالحكايات

الشعبية والحواديت مثل حواديت ألف ليلة وليلة ، وانه اذا كان قد سمعها وقراها ، مثل فعله فى صباه وصبا ، الا انها لازالت تنشب أظافرها فى مخيلته ، وتملى عليه من فيضها ، فيكتب مثلها ، قلبا وقالباً . ولتلتفت فى هذا المقام الى « الكنز المدفون » و « الثعبان العملاق » حارسه . فضلا عن التحولات الجوهرية فى القصة من « تميمة » الى « حورية » كانت من قبل « أميرة من أميرات البحار الشرقية » ثم « الحب الخيالى » بين رجل من الأنس ، وحورية من حوريات البحر . وهذه « الاستحالة » التى تفيض بها هذه القصة أو « الحكاية » هى ما يجعل أيضا أقاصيص هذه المجموعة أو ان شئنا « حكاياتها » « مستحيلة » بدورها . ومع هذه الاستحالة تنبض معاناة « الفناء بلا طائل » . وهى أحاسيس ليست غائبة عن قصص المجموعة بصفة عامة فانت اذا نحييت « العقل » جانبا ، وأطلقت لقاربك العنان بأشرعة أخرى غيره انفتح اليم أمامك لجبا أسود ممضا مقلقا . « طلسما غادرا » ولا خلاص لك بعد ذلك فقد كسرت بوصلة « الخلاص » .

الفهرس

الصفحة	
٣	أهداء
٥	تقديم
٧	الفجوة
١٢	وجهة نظر
١٦	الصليل
٢١	النساب أزرق
٢٩	أخيرا افترقنا
٣٣	فى الضوء تستبين الأشياء
٤٣	اللعبة والأقنعة
٥٠	ولكن تبقى أشياء
٥٧	المسؤولمة
٦٧	بئر العوارم
٧٨	التميمة
٨٧	الامتحنان
٩٩	الدراسة

صدر من هذه السلسلة :

١ - شوارع تنام من العاشرة	(قصص) أحمد محمد حميدة
٢ - باب الريح	(قصص) نبيه الصعیدی
٣ - حكاية عروسة البحر	(شعر) حجاج البای
٤ - الدم وشجرة التوت الأحمر	(رواية) محمد عبد الله عيسى
٥ - وقائع موت الجياد	(شعر) عصام الفازی
٦ - الشاطر حسن .. يخيب	(قصص) عبد المنعم الباز
٧ - .. وعائد اليك	(شعر) المنجى سرحان
٨ - مهزلة عائلية	(مسرحية) جمعة محمد جمعة
٩ - قصاصات حب	(قصص) اسماعيل على
١٠ - تاريخ يورقه الظمأ	(شعر) مشهور فواز
١١ - بقايا انتظار	(قصص) عبد الفتاح منصور
١٢ - أعدام قيس بن الملوح	(مسرحية) محمد عبد العزيز شنب
١٣ - نقوش الدم	(رواية) رجب سعد السيد
١٤ - تأملات في وجه ملائكي	(شعر) عبد الله السيد شرف
١٥ - الصعود الى القصر	(قصص) مصطفى الأسمر
١٦ - اغتراب ..	(قصص) ناجي عبد اللطيف
١٧ - والفجر	(قصص) جمال نجيب التلاوي
١٨ - فيضا يكون العشق	(شعر) عبد المجيد أحمد
١٩ - حكاية الديب رماح	(قصص) خيري عبد الجواد
٢٠ - خديجة بنت الضحى الوسيع	(شعر) سماح عبد الله
٢١ - فارس آخر زمن	(مسرحية) حسن شلنده
٢٢ - شهريزاد	(شعر) نجوى السيد
٢٣ - من ثقب الحرام	(قصص) محمد هويدي

(قصص) فاروق الأفندى	٢٤ - العطش
(شعر) نصر الدين رحى	٢٥ - الزحمة
(شعر) صلاح والى	٢٦ - تداعيات العشق والغربة
(شعر) مهدى محمد مصطفى	٢٧ - السيف والوردة
(قصص) حسن الجوخ	٢٨ - رحيل م
(قصص) رشدى أحمد معتوق	٢٩ - تراب على وجه القمر
(مسرحية) فتحى فضل	٣٠ - بلغنى أيها الملك
(قصص) محمد السيد سالم	٣١ - الديك فى السيارة
(قصص) على عيد	٣٢ - أبناء النهر
(مسرحية) أحمد أبو سديرة	٣٣ - وحتما سيعود
(شعر) محمد فرج	٣٤ - بقايا شموع
(مسرحية) جمال فاضل	٣٥ - بيت آل شحات
(مسرحية) مجدى الجلال	٣٦ - الليلة ٠٠ نحكى
(قصص) سعيد عبد الفتاح	٣٧ - وجه العالم
(شعر) حزين عمر	٣٨ - فصل من التاريخ
(قصص) ابتهاج سالم	الخاص
(شعر) فؤاد سليمان مغنم	٣٩ - النورس
(قصص) عبد الفتاح يونس	٤٠ - فصول من كتاب الليل
(مسرحية) محمد الشربيني	٤١ - رجل فى الظل
(قصص) كاميليا كمال الدين	٤٢ - الجلوس خلف الأبواب
(شعر) محمد محمود عبدالعال	٤٣ - التائهون
(قصص) ابراهيم فهمى	٤٤ - العيون الملهمة
(شعر) يس الفيل	٤٥ - قمر بوبا
(قصص) حسين البلتاجى	٤٦ - الميلاد وحكايات الخريف
(شعر) كوثر مصطفى	٤٧ - الرقص فوق البركان
(قصص) عزت عبد الوهاب	٤٨ - موسم زرع البنات
	٤٩ - تنويعات على رأس رجل محبط

(شعر) عبد الشافي داود	٥٠ - أزهار بريدة
(مسرحية) محمد فكرى	٥١ - انتظار
(شعر) النبوى سلامة	٥٢ - ورقة من بطاقتى
(مسرحية) أنور جعفر	٥٣ - ماسمار
(شعر) محمد هاشم	٥٤ - الخيل والليل وزهور البنفسج
(قصص) اسماعيل بكر	٥٥ - طائر الحب
(شعر) عبد الناصر هلال	٥٦ - الخروج واشتعال سوسنة
(قصص) نعمات البحري	٥٧ - العاشقون
(شعر) طاهر البرنبالى	٥٨ - طالعين لوش النشيد
(قصص) جمال بركات	٥٩ - أرجوكم ارحلوا
(شعر) طه حسين سالم	٦٠ - آخر ما قالت الملكة
(قصص) محمد عبد الله الهادى	٦١ - عيون الدهشة والحيرة
(شعر) ابراهيم محمود حمدى	٦٢ - نور النار
(رواية) فؤاد حجاج	٦٣ - عندما جاءت الأمطار
(شعر) عماد غزالى	٦٤ - أغنية أولى
(قصص) زكريا السيد عبيد	٦٥ - للمدينة وجه آخر
(شعر) اسماعيل أبو زيد	٦٦ - خلف جبال الشمال
(قصص) هشام قاسم	٦٧ - من يضحك كثيرا
(شعر) عيد عيد صالح	٦٨ - قلبى وأشواق الحصار
(قصص) خالد الصاوى	٦٩ - يوميات خلود
(شعر) هشام أبو زيد	٧٠ - النبوءة
(قصص) سعد عبد الحميد	٧١ - قبل الخروج من الطابور
(شعر) مصطفى النحاس أحمد	٧٢ - لبلاية على سطح القمر
(قصص) سمير فوزى	٧٣ - من ديوان العشق
(شعر) محمد السيد اسماعيل	٧٤ - كائنات فى انتظار البعث
(قصص) السيد الجندي	٧٥ - أرخص الدموع
(شعر) سعد عطيه	٧٦ - شوقا اليك

٧٧ -	الولوج في دائرة التيه	(قصص)	معصوم مرزوق
٧٨ -	قدمت للحب استقالة	(شعر)	ياسر قطامش
٧٩ -	الآخرون وأغنية للضحى	(قصص)	سيد عبد الخالق
٨٠ -	الدق ع البيبان	(شعر)	محمد صابر مرسى
٨١ -	رائحة الزهور البرية	(شعر)	صالح الصياد
٨٢ -	مسافة الحلم	(مسرحية)	مؤمن أحمد
٨٣ -	فوق شجرة ما	(قصص)	ناهد عز العرب
٨٤ -	عناقيد الشمس	(قصص)	رجب الصاوى
٨٥ -	مربط الفرس	(مسرحية)	سليم كتشتر
٨٦ -	سندريلا وأحلام سندباد	(شعر)	محمد عبد الرازق زهيرى
٨٧ -	المصفقون	(قصص)	حمدى البطران
٨٨ -	ندهة من ريحة زمان	(شعر)	سمير الفيل
٨٩ -	حلم أطفال	(قصص)	خيرى السيد ابراهيم
٩٠ -	صفحة من كتاب العشق	(شعر)	محمد العتر
٩١ -	صباح في المخيم	(شعر)	سناء محمد فرج
٩٢ -	حال من الورد	(قصص)	عبد الحكيم العلامى
٩٣ -	الأشجار تعرف الحزن	(قصص)	عبد الحميد الفداوى
٩٤ -	خروجاً على النص	(رواية)	فراج عبد العزيز
٩٥ -	ثقب في جدار الذاكرة	(قصص)	أمين الصيرفى
٩٦ -	٣ الحان من عيونك	(شعر)	محمد الغيطى
٩٧ -	الحياة مرة أخرى	(قصص)	د. بدوى مطر
٩٨ -	في انتظار الشمس	(قصص)	أحمد محمود مبارك
٩٩ -	يوميات النبأ العجيب	(قصص)	سمير المنزلاوى
١٠٠ -	ليالى الحب والغربة	(شعر)	محمود يونس
١٠١ -	العبور من ثقب الابرة	(قصص)	أحمد عبد الله متولى
١٠٢ -	صياد في بحر الكلام	(شعر)	محمد مكيوى

- ١٠٢ - العمر ٥ دقائق (قصص) صلاح معاطي
- ١٠٤ - أحزان البطريق (قصص) مجدى البدر
- ١٠٥ - ومن يوقد أعواد الثقاب (قصص) وجيه عبد الهادى
- ١٠٦ - الحقيقة والوجه الآخر (قصص) مصطفى عبد الشافى
- ١٠٧ - هموم امرأة متمرده (قصص) محمد القصبى
- ١٠٨ - الخندق (مسرحية) فاروق عطية
- ١٠٩ - العصفافير لا تعشق الطيران (شعر) محمود خليل
- ١١٠ - فى الصباح نلتقى (قصص) ابراهيم عيسى
- ١١١ - جذور متناثرة (قصص) سميه عريشة
- ١١٢ - الجسد والحلم (قصص) محمد الحمامصي
- ١١٣ - الزفة (قصص) محمد شاكر الملط
- ١١٤ - موسيقى لعينيها (شعر) سمير درويش
- ١١٥ - حلم كائن بسيط (قصص) ربيع عقب الباب
- ١١٦ - ليلة عرس سوداء (مسرحية) سعيد حجاج
- ١١٧ - الأوز والبارود والزيتون (قصص) فريدة أحمد
- ١١٨ - أصداء حائرة (شعر) ياسر محمود يونس
- ١١٩ - عود ثقاب (قصص) فريد معوض
- ١٢٠ - الدق على أبواب الآتى (شعر) د. عبد الحميد حسن
- ١٢١ - لعبة التشابه (قصص) منار فتح الباب
- ١٢٢ - اعترافات عاشقة قروية (شعر) بهية طلب
- ١٢٣ - النذير (قصص) بدر عبد العظيم
- ١٢٤ - أيام فى حضن الليل (شعر) حورية البدرى

- ١٢٥ - تداعيات زمن السقوط (قصص) محمد وهبة
- ١٢٦ - الجبل الشرقي وكفر الهلالي
- ١٢٧ - عندما انهارت أواريس
- ١٢٨ - عيني عليك يا بلد
- ١٢٩ - قلوب في العاصفة
- ١٣٠ - الذباب لا يلفظ عصافير
- ١٣١ - عروس الأرض
- ١٣٢ - الرحيل عن مدن الهزائم
- ١٣٣ - قدر من العشق
- ١٣٤ - الحسويطي
- ١٣٥ - المتواليات
- ١٣٦ - قيود الأحلام
- ١٣٧ - أهل البيت
- ١٣٨ - مد وجزر
- ١٣٩ - حين تميل الجدران
- ١٤٠ - مراكب خوف
- ١٤١ - النزلاية
- ١٤٢ - العزف على أوتار الغربية
- ١٤٣ - طيور بلا وطن
- ١٤٤ - المسافات من عينيك تبدأ
- (رواية) شحاتة عزيز
- (مسرحية) نسيم إبراهيم يوسف
- (شعر) ثريا مصطفى
- (رواية) عبد الحميد خليف يونس
- (قصص) بهاء السيد
- (شعر) عزت محمد جاد
- (قصص) خالد محمد غازي
- (قصص) عفاف السيد
- (رواية) فؤاد نصر الدين
- (شعر) علاء الدين رمضان
- (قصص) سلوى الحمامي
- (قصص) محمد القاضي
- (قصص) حسين أبو زينة
- (قصص) محمد عباس علي
- (شعر) أحمد الخولي
- (مسرحية) حجاج حسن أدول
- (شعر) سلامة الطويل
- (قصص) مجدى عبد النبى
- (شعر) عبد الرحمن عبد المولى

- ١٤٥ - البنت والشايب
 ١٤٦ - أرض المراغة
 ١٤٧ - المطاردة
 ١٤٨ - تقاسيم على الربابة
 ١٤٩ - كلام على كلام
 ١٥٠ - جنون المال
 ١٥١ - سحابة صيف
 ١٥٢ - لم الشممل
 ١٥٣ - المصيدة
 ١٥٤ - رجل للبيع
 ١٥٥ - قطار الظهيرة
 ١٥٦ - الندم
 ١٥٧ - عودى الى
 ١٥٨ - الجدار السابع
 ١٥٩ - على جدار الزمن
 ١٦٠ - كوابيس
 ١٦١ - أمنية للعالم
 ١٦٢ - وشاعرة
 ١٦٣ - اللعب فى الحلقة
 ١٦٤ - اشاعة
 ١٦٥ - عندما يكتمل القمر
 ١٦٦ - على الربابة
 ١٦٧ - تائهان
 ١٦٨ - نبض الحرف الدافى

- (مسرحية) محمد عبد الله
 (رواية) محمد هلال
 (قصص) اسماعيل بهاء الدين
 (شعر) عبد الستار سليم
 (قصص) ابراهيم قنديل
 (مسرحية) صبرى عسس
 (قصص) فرج حكيم
 (مسرحية) محيى عبد الحى
 (قصص) سيد نجم
 (قصص) محمود عزت موسى
 (قصص) سمير يوسف حكيم
 (مسرحية) عباس أحمد
 (شعر) أحمد حمادى
 (قصص) أحمد محمد عبده
 (قصص) عبد المنعم صبحى
 (مسرحية) ابراهيم هلال العساسى
 (شعر) أحمد محمد النقيب
 (شعر) نجوى عمر
 (قصص) عبد الفتاح عبدالرحمن
 (مسرحية) السيد حافظ
 (قصص) طه محمود مقله
 (شعر) أحمد عبد القادر
 (قصص) أحمد دسوقي
 (شعر) سلامه عيسى

- ١٦٩ - الحصى والرصاص (مسرحية) محمد أحمد اسماعيل
 ١٧٠ - ناعسة تفقد صبرها (قصص) محمد متولي
 ١٧١ - لعبة الحنان (شعر) أحمد فراج
 ١٧٢ - أخناتون والكهنة (مسرحية) محمود القليني
 ١٧٣ - لعبة الصمت (قصص) ايهاب فاروق حسنى
 ١٧٤ - رباعية النورس (شعر) حسن حامد
 ١٧٥ - تنهيدة صبية (شعر) ايمان أحمد يوسف
 ١٧٦ - الانتصار العظيم (رواية) محمود صبرى الشامى
 ١٧٧ - محاكمة علاء الدين (م. شعرية) صفوت محمد سليمان
 ١٧٨ - الحلم فى زمن السيل (قصص) الشحات سند محبوب
 ١٧٩ - حواديت عرافة (قصص) رشا سمير حسنى
 ١٨٠ - عرس كليب (دراما شعبية) درويش الأسىوطى
 ١٨١ - ظلال الرؤى (شعر) عبد الرحيم الماسخ
 ١٨٢ - عناقيد الورق (شعر) محمد الشحات محمد
 ١٨٣ - طرقات فوق أبواب الزمن (قصص) عبد الحميد عيسى
 ١٨٤ - مقام الخوف (قصص) عزة بدير
 ١٨٥ - لا أسميك (شعر) أمل جمال
 ١٨٦ - رحلة خارج الأفق (شعر) أحمد عبد الحفيظ
 ١٨٧ - اغالب فيك انهزامى (قصص) أحمد مرزوق
 ١٨٨ - اعترافات الفتى عزيز (قصص) محمد الحسن ولد المصطفى
 ١٨٩ - اجراس الصمت (قصص) د. جابر عبد العزيز
 ١٩٠ - انكفاءة مزمارة (قصص) أوفى عبد الله الأنور
 ١٩١ - مواسم الأوز والدخان (شعر) مصطفى فتحى
 ١٩٢ - سحابة بيضاء (قصص) محمد عبد الرحمن المر
 ١٩٣ - مذبحة الورد (شعر) عادل البطوسى
 ١٩٤ - فى الضوء تستبين الأشياء (قصص) عدنان شيخ الأرض

العدد القادم :

- ١٩٥ - قناديل (شعر) طاهر سعيد محمد

رقم الايداع ١٩٩٥/٨٢٩٥

الترقيم الدولي 2 — 4526 — 01 — 977 I.S.B.N.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

إشراقات أدبية تصدر نصف شهرية

هذا هو العدد الرابع والتسعون بعد المائة من سلسلة
إشراقات أدبية، تواصل به السلسلة عطاءها للحياة
الثقافية.

العدد يضم المجموعة القصصية «فى الضوء تستبين
الأشياء» للقاص عدنان شيخ الأرض، وهى قصص من
الحياة اليومية فى أغلب الأحيان من حياة أناس
عاديين ذوى علاقات مألوفة بين الناس فى المدن
عادة، ويحول المؤلف الحدث أو الموقف فى ختام القصة
إلى ما يشبه المفاجأة أو المباغتة، وكثيرا ما تضاف
عليها هذه الميلودرامية طابع «النكتة» أو الدعابة التى
تحرك فى أعماق القارئ تأملات فى الوضع الإنسانى
بصفة عامة.

٣٥ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

Bibliotheca Alexandrina



0651234

736
88